تَيْسِيرُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ
فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

تفسير سورة الفاتحة، وجزء عم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ٢٠٢٤م

رقم الإيداع

الناشر

تَيْسِيرُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ
فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

تفسير سورة الفاتحة، وجزء عم

أم حفص سيدة بنت عبد الله الحمزي

غفر الله لها ولوالديها

راجعه وقدم له:

الشيخ عبد الحميد بن يحي الزُّعكري حفظه الله

الشيخ عدنان بن حسين المصقري حفظه الله

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٤
عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدي
+٩٦٧٧٧٠٠١٢٥٢٢
حضرموت الحامي - جوار مسجد أنور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨
alshafibooks@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ
عبد الحميد بن يحيى الزعكري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإن أنفس ما يقوم به من وفقه الله للعلم لهو خدمة كتاب الله ﷻ من تفسير وبيان وإيضاح للبرهان والفرقان في الأخلاق والعقائد والإيمان فهو كلام الله العظيم وكتابه الكريم ووحيه المبين ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وبما أننا في آخر الزمان، وقد جهل الناس مهمات الأمور التي مثلها لا يجهل، لا سيما عند المتقدمين؛ فتعين علىٰ من لديه أهلية أن يقوم بتقريب ذلك؛ لعل الله أن ينفع به من شاء، وقد طالعت تفسير سورة الفاتحة، وجزء عم للداعية السلفية والأخت المباركة أم حفص بنت الحمزي وفقها الله؛ فرأيتها قد أفادت وأجادت، فجزاها الله خيرًا، وبارك فيها وفي علمها، وبالله التوفيق.

وكتبه/ عبد الحميد بن يحيىٰ الزُّعكري

١٠ / شعبان / ١٤٤٥هـ

مقدمة الشيخ
عدنان بن حسين المصقري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الرحيم الرحمن، الذي أنزل علىٰ عبده الفرقان، وجعله نورًا وهدىً للأنام، وبينه لهم أتم البيان، والصلاة والسلام علىٰ النبي العدنان، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا من يومنا إلىٰ يوم بعث الأبدان.

أما بعد:

فإن خير ما ينشغل به العلماء العاملون، ويعمل به أولياء الله العابدون، ويتأمل فيه الفقهاء والمتقون، لهو كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فمن اعتنىٰ بكتاب الله بارك الله له فيما أعطاه وسدده لهداه ووفقه في كل ما كتبت يداه، وبقدر انشغال العبد بكتاب ربه علىٰ قدر ما يجد من البركة والسداد، قال الله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦].

وقد قرأت هذا البحث القيم المفيد في تفسير كلام الله تعالىٰ والذي بدأ بدروس مفيدة في تفسير سورة الفاتحة وجزء عم، للأخت الفاضلة الباحثة المحققة: أم حفص بنت الحمزي وفقها الله وبارك فيها وفي علومها؛ فاستفدت

منه وألفيته بحثًا مختصرًا جامعًا ماتعًا، فيه من الفوائد والآثار ما تُشد إليه الرحال، وقد بذلت فيه جهدًا طيبًا، نوصي بدراسته وتدريسه، وطبعه ونشره، ونسأل الله تعالىٰ أن ينفعنا بكتابه المبين وبسنة رسوله الأمين ﷺ، وأن ينفع بهذا البحث وبمن جمعه الإسلام والمسلمين.

كتبه/ أبو اليمان عدنان بن حسين المصقري

عفا الله عنه

ليلة الجمعة ١٣ شعبان ١٤٤٥ هـ بدار الحديث شحوح حضرموت

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فلم تزل همم أهل العلم تسمو وترتفع في كل زمان إلىٰ تفسير كلام الله المنان، وبيان معانيه.

وإن أشرف ما يعتني به المسلم هو كتاب الله؛ فهو حبل الله المتين، وطريقه المستقيم، الموصل إلىٰ جنات النعيم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وإن من فضل الله عليَّ أن وفقني منذ الصغر لطلب العلم، وحببه إلىٰ قلبي، ولطالما تاقت نفسي لخدمة كتاب الله علىٰ رغم ضعفي، وقلة علمي، وقصر باعي، وقلة اطلاعي، ولكن الله بفضله وكرمه ومنه يسر لي تعليمه تجويدًا وتفسيرًا، وأسبغ عليَّ من آلائه، وأوسع لي من نعمائه، مما لا يفي بحقه شكر لساني، ولا تحبير بناني؛ فأحمده حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأصلي وأسلم علىٰ خير من جوَّد القرآن ورتلَّه، وأصدق من بلَّغه وعلَّمه وبيَّنه، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وهذا جهد متواضع، مستفاد من تفاسير من سبق من أهل العلم والفضل والإتقان.

وإني بقدر سعادتي بأن تخط يداي ما فيه خدمة كتاب الله ونفع عباده، إلا أنه يعتريني الخوف من التقصير والخلل، أو مجانبة الصواب والزلل. فأسأل الله أن يوفقني ويبصرني ويسددني، وأن يتجاوز عني، وأن يتقبل هذا الجهد مني بقبول حسن، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وسببًا للفوز بالدرجات العلىٰ في جنات النعيم، وأن يجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، وشفيعًا لي في الآخرة، إنه سميع قريب مجيب.

والحمد لله رب العالمين.

أم حفص سيدة بنت عبد الله بن أحمد الحمزي

غفر الله لها ولوالديها

القصيم/ المملكة العربية السعودية حرسها الله وحماها

الاثنين ٩/ شعبان/ ١٤٤٥هـ

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الْفَاتِحَةِ

سورة الفاتحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بعض ما ورد في فضل الفاتحة:

١- روىٰ البخاري (٤٤٧٤) في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّىٰ، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ الله: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ»، قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] «هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ».

٢- وروىٰ مسلم (٨٠٦) في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَىٰ الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ».

قوله (سَمِعَ نَقِيضًا): النقيض: الصوت الصادر من حركة شيء.

٣- وروىٰ البخاري (٥٠٠٧)، ومسلم (٢٢٠١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ

نَفَرَنَا غَيْبٌ، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ بِرُقْيَةٍ، فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلاَثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً -أَوْ كُنْتَ تَرْقِي؟- قَالَ: لاَ، مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الكِتَابِ، قُلْنَا: لاَ تُحْدِثُوا شَيْئًا حَتَّىٰ نَأْتِيَ -أَوْ: نَسْأَلَ- النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**».

قوله (سَلِيمٌ): أي لديغ يسمىٰ بذلك تفاؤلًا.

قوله (مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ بِرُقْيَةٍ): أي ما كنا نعلمه أنه يرقي.

٤- وروىٰ مسلم (٣٩٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّىٰ صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ**» ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ. فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «**اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ**»؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾**، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾**، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**».

٥- وروىٰ الترمذي (٣١٢٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ القُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**».

٦- وروىٰ أحمد (١٧٥٩٧) من حديث عبد الله بن جابر وفيه: «**أَلَا أُخْبِرُكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ جَابِرٍ بِخَيْرِ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟**» قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**اقْرَأِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّىٰ تَخْتِمَهَا**».

بعض أسماء الفاتحة:

١- **الفاتحة:** أي فاتحة الكتاب من غير خلاف بين العلماء، وسميت بذلك؛ لأنه تفتتح قراءة القرآن بها لفظا، وتفتتح بها الكتابة في المصحف خطًّا، وتفتتح بها الصلوات.

٢- **أم الكتاب:** وفي هذا الاسم خلاف؛ حيث جوزه الجمهور، وكرهه أنس والحسن وابن سيرين.

قال الحسن: أم الكتاب: الحلال والحرام قال الله تعالىٰ: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقال أنس وابن سيرين: أم الكتاب: اسم اللوح المحفوظ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الزخرف: ٤].

وقال البخاري: وسميت أم الكتاب أنه يُبدأ بكتابتها في المصاحف ويُبدأ بقراءتها في الصلاة.

وقد أجاز الجمهور تسميتها بهذا، وهو الراجح وقد ثبت عند الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم**».

٣- **أم القرآن:** واختلف في هذه التسمية أيضًا فجوز ذلك الجمهور وكرهه أنس وابن سيرين.

وحديث أبي هريرة المتقدم يثبت هذه التسمية، والله أعلم.

٤- **الصلاة:** قال تعالىٰ في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة: «**قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين...**» الحديث. وسميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها.

٥- **الحمد:** لأن فيها ذكر الحمد كما في حديث أبي هريرة عند مسلم المتقدم وفيه: «**فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي...**» الحديث.

٦- **المثاني:** سُميت بذلك لأنها تثنىٰ في كل ركعة، وقيل: سُميت بذلك لأنها استثنيت لهذه الأمة؛ فلم تنزل علىٰ أحد قبلها ذخرًا لها.

٧- **الرقية:** لحديث أبي سعيد الخدري عند البخاري حين رقىٰ بها الرجل السليم فقال النبي ﷺ: «**وما يدريك أنها رقية؟**».

٨- **أساس القرآن:** وأساسها بسم الله الرحمن الرحيم. روىٰ الشعبي عن ابن عباس تسميتها بهذا.

٩- **الوافية:** -وقيل: الواقية- سماها بهذا سفيان بن عيينة، لأنها لا تنصف ولا تحتمل الاختزال، ولو قرأ من سائر السور نصفها في ركعة ونصفها الآخر في ركعة لأجزأ، ولو نُصِّفت الفاتحة في ركعتين لم تُجْزِ.

١٠- **الكافية:** سماها بهذا عبد الله بن يحيىٰ بن أبي كثير: لأنها تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها.

١١- **القرآن العظيم:** سميت بذلك لتضمنها جميع علوم القرآن، وذلك أنها تشتمل علىٰ الثناء علىٰ الله ﷻ بأوصاف كماله وجلاله وعلىٰ الأمر بالعبادات والإخلاص فيها، والاعتراف بالعجز عن القيام بشيءٍ منها إلا بإعانته تعالىٰ وعلىٰ

الابتهال إليه في الهداية إلىٰ الصراط المستقيم، وكفاية أحوال الناكثين وعلىٰ بيان عاقبة الجاحدين.

١٢- الشِّفاء: وجاء في هذا حديث عند الدارمي عن عبد الملك بن عمير ولكنه مرسل، وجاء عن أبي سعيد عزاه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في ضعيف الجامع الصغير إلىٰ سعيد بن منصور والبيهقي في الشعب وقال: إنه موضوع[(١)].

عدد آيات الفاتحة:

الفاتحة مكية وعدد آياتها سبع، وقد دل علىٰ ذلك القرآن والسنة والإجماع.

القرآن: ويدل علىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

والسنة: ويدل علىٰ هذا ما رواه البخاري (٤٧٠٤) في صحيحه عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أمُّ القُرآنِ: هي السَّبْعُ المَثَاني، والقرآنُ العَظيمُ**».

وكذا حديث أبي سعيد بن المعلّىٰ المتقدم.

والإجماع: وقد نقل الإجماع علىٰ كون الفاتحة سبع آيات جمع من أهل العلم منهم: ابن المنذر في الأوسط (٣/ ٢٨٢)، وابن عبد البر في الاستذكار (١/ ٤٥٣)، وابن العربي في أحكام القرآن (١/ ١٠)، والنووي في المجموع (٣/ ٣٣٨)، وغيرهم.

وما ورد أنها ست آيات وكذا ثمان آيات؛ فهو شاذ لا يُعتد به[(٢)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٧٢-١٧٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٣)، والفتح (٩/ ٦٢٨).

(٢) الفتح للحافظ (٨/ ١٥٩).

هل البسملة آية من سورة الفاتحة؟

اختلف أهل العلم في ذلك والراجح أن البسملة ليست آية من الفاتحة، وهذا مذهب الجمهور.

ويدل علىٰ هذا ما يلي:

١- حديث أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -المتقدم عند مسلم نعيده كاملًا للفائدة- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**قال اللهُ تعالىٰ: قسَمْتُ الصَّلاةَ بيني وبين عبدي نِصفينِ، ولعبدي ما سأَلَ، فإذا قال العبدُ: الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قال اللهُ: حمِدَني عبدي، فإذا قال: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قال اللهُ: أثنىٰ علَيَّ عبدي، فإذا قال: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، قال: مجَّدَني عبدي، فإذا قال: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأَل، فإذا قال: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأَل**».

ووجه الدلالة من الحديث أنه لم يذكر البسملة ولو كانت آية، لعدّها وبدأ بها، كما أنه يتحقق التنصيف بدونها؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ جعل الثلاث الآيات الأول لنفسه واختص بها تبارك اسمه، ثم الآية الرابعة جعلها بينه وبين عبده؛ لأنها تضمنت تذلل العبد وطلب الاستعانة منه، وذلك يتضمن تعظيم الله تعالىٰ، ثم ثلاث آيات تتمة السبع؛ لأنَّها سبعُ آياتٍ إجماعًا كما تقدم.

٢- حديث أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٣٩٩) قال: (صلَّيتُ خلفَ النبيِّ ﷺ، وأبي بكرٍ، وعمرٍ؛ فكانوا لا يذكُرونَ بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ في أوَّلِ قراءةٍ، ولا في آخِرِها).

ووجه الدلالة؛ أن التمييز بينها وبين الفاتحة في الجهر وعدمه يدل علىٰ أنها ليست منها[١].

تفسير الاستعاذة: أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

أعوذ: ألتجئ وأعتصم، والعوذ هو الالتجاء والاعتصام، أي ألتجئ إلىٰ الله وأعتصم به.

والفرق بين العياذ واللياذ:

أن العِياذ: يكون لدفع الشر.

واللِّياذ: يكون لطلب جلب الخير.

وفي هذا يقول المُتَنَبِّي:

يَـا مَـنْ أَلُـوذُ بِـهِ فِيمَـا أُؤَمِّلُـهُ وَمَـنْ أَعُـوذُ بِـهِ مِمَّـا أُحَـاذِرُهُ

لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهِيضُـونَ عَظْمًـا أَنْـتَ جَابِـرُه

بالله: لفظ الجلالة علم علىٰ الباري ﷻ ولا يسمىٰ به غيره وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء ومعناه المألوه أي: المعبود محبةً وتعظيمًا، وهو مشتق علىٰ الصحيح من أله يأله إلهة وألوهية.

من الشيطان: مشتق من شَطَن إذا بعد، فهو بعيد عن طباع البشر بعيد عن كل خير.

والعرب تقول: تشيطن فلان؛ إذا فَعَل فِعْلَ الشيطان.

فهو مشتق من البعد علىٰ الصحيح، ولهذا يسمون كل متمرد من الإنس

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٤٦)، تفسير الفاتحة لابن عُثَيمين (١/ ٨).

والجن والحيوان شيطانًا، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وروىٰ مسلم في صحيحه (٥١٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَصْفَرِ فَقَالَ: «**الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ**».

الرجيم: فعيل بمعنىٰ مفعول؛ أي: مرجوم مطرود عن كل خير، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٦، ١٧].

وقيل: رجيم: فعيل بمعنىٰ فاعل؛ أي: راجم؛ لأنه يرجم الناس بالوساوس والشرور. والأول أظهر، والله أعلم.

وتعريف الاستعاذة: هي الالتجاء إلىٰ الله والاعتصام به.

فمعنىٰ قولنا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: أي ألتجئ إلىٰ الله وأعتصم به من الشيطان الرجيم أن يلبس عليَّ قراءتي أو يضرني في ديني أو يصدني عن فعل ما أُمرت به، أو يزين لي فعل ما نهيت عنه.

والاستعاذة تكون قبل التلاوة لدفع وساوس الشيطان عنها، ومعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]؛ أي: إذا أردت قراءة القرآن، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ الآية [المائدة: ٦] أي: إذا أردتم القيام إلىٰ الصلاة.

وذهب الجمهور إلىٰ أن الاستعاذة مستحبة وحملوا الأمر في قوله تعالىٰ:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ علىٰ الندب.

وذهب بعض أهل العلم إلىٰ الوجوب وحملوا الأمر في الآية السابقة علىٰ الوجوب.

والراجح الاستحباب، والله أعلم.

والاستعاذة ليست من القرآن الكريم بالإجماع.

وقد ورد للاستعاذة عدة صيغ لا خلاف بين أهل العلم في جوازها والأفضل التنويع ومن هذه الصيغ:

الصيغة الأولىٰ: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، كما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾.

وروىٰ البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠) عن سليمان ين صرد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: استبَّ رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه، مغضبًا، قد احمرَّ وجهه فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ فقال: إني لست بمجنون**».

وهذه الصيغة هي المختارة عند أكثر القراء.

الصيغة الثانية: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه)، ويدل علىٰ هذا ما رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلىٰ الصلاة بالليل كبر، ثم يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالىٰ جدك، ولا إله غيرك**»، ثم يقول: «**أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه**

ونفخه ونفثه».

والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٠١).

وهمزه: الموتة، ونفخه: الكبر، ونفثه: الشعر.

وقد خصها بعض أهل العلم بقيام الليل، والله أعلم.

الصيغة الثالثة: (اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه)، ويدل علىٰ هذا حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسند أحمد (٣٨٣٠) أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الشيطان، من همزه ونفثه ونفخه**».

من لطائف الاستعاذة:

الاستعاذة طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطييب له وتهيؤ لتلاوة كلام الله، وهي استعانة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني الذي لا يقدر علىٰ منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة ولا يدارىٰ بالإحسان بخلاف العدو الإنسي؛ فقد أمر الله بمصانعته ومداراته بإسداء الجميل إليه؛ ليرده طبعه عما هو فيه من الأذىٰ، فأمر بمصانعة شيطان الإنس ومداراته، وأما شيطان الجن فأمر بالاستعاذة منه لأنه شرير بالطبع، لا يؤثر فيه الجميل، وهذا المعنىٰ في ثلاث آيات من القرآن:

الأولىٰ: قول الله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٩٩-٢٠٠].

الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:

.[٩٨-٩٦]

الثالثة: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦].

تفسير البسملة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

البسملة مصدر بسمل إذا قال: (بسم الله الرحمن الرحيم)؛ فالبسملة نحت لـ (بسم الله الرحمن الرحيم)، مثل الحوقلة نحت لـ (لاحول ولا قوة إلا بالله)، والحيعلة نحت لـ (حيَّ علىٰ الصلاة)، وهكذا.

قال ابن فارس: (العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار) اهـ

وأكثر ما تستعمل البسملة لقول (بسم الله الرحمن الرحيم).

وأكثر ما تستعمل التسمية لقول (بسم الله).

وفي حديث عمر بن أبي سلمة في الصحيحين: «**يا غلام سمِّ الله**..» الحديث؛ أي: قل بسم الله.

- والسنة البداءة بالتسمية؛ وهي قول (بسم الله) في جميع أحوالنا.

وقد بوب علىٰ هذا الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه (باب التسمية علىٰ كل حال وعند الوقاع).

ومعنىٰ الوقاع: الجماع.

وقوله ﴿بِسْمِ﴾: الباء للاستعانة وهو الصحيح، وقيل للمصاحبة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف نقدره فعلًا متأخرًا مناسبًا؛ أي: باسم الله أقرأ.

فنقدره فعلًا لقوله تعالىٰ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، ولأن الأصل في العمل الأفعال. ونقدره متأخرًا لفوائد منها:

١- إفادة الحصر؛ لأن تقديم المعمول علىٰ العامل يفيد الحصر.

٢- التبرك بالبداءة باسم الله تعالىٰ.

٣- الاستعانة بالله علىٰ الإتمام والقبول.

ونقدره مناسبًا لأنه أدل علىٰ المراد؛ فإذا أردت الأكل أقول بسم الله آكل، وإذا أردت القراءة أقول بسم الله أقرأ، وهكذا.

وذهب بعضهم إلىٰ أن الجار والمجرور متعلق باسم محذوف تقديره: باسم الله ابتدائي لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود: ٤١].

والاسم: مشتق من السمو، وهو العلو والرفعة، فقيل: اسم؛ لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به، أو لأن الاسم يسمو بالمسمىٰ فيرفعه عن غيره. وبهذا قال البصريون.

وقال الكوفيون: إنه مشتق من السِّمَة وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة لمن وُضِع له، فأصل (اسم) علىٰ هذا: وسم. وبه قال المعتزلة، والأول أصح.

﴿ٱللَّهِ﴾: لفظ الجلالة علم علىٰ الرب تبارك وتعالىٰ وتقدم أنه الاسم الذي تتبعه بقية الأسماء، وهو الاسم الأعظم علىٰ الصحيح، وتقدم أن الصحيح أنه

مشتق من أله يأله إلاهة وتألهًا، ودليل كونه مشتقًّا قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [الأنعام: ٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ الآية [الزخرف: ٨٤].

قال رؤبة بن العجاج:

لله درّ الغانيات المُدَّهِ سبّحن واسترجعن من تألّهي

أي: من تعبدي.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: اسمان من أسماء الله الحسنىٰ، مشتقان من الرحمة علىٰ وجه المبالغة و (رحمن) أشد مبالغة من (رحيم)، والرحمن ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء، وهو متضمن لصفة الرحمة المتعلقة بالذات.

وقد أنكر هذا الاسم كفار قريش قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا۩﴾ [الفرقان: ٦٠]، وقالوا يوم الحديبية لما قال رسول الله ﷺ لعلي: «**اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم»**» فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم: رواه البخاري، وفي بعض الروايات: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة.

والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم؛ فإنه قد وجد في أشعارهم في الجاهلية تسمية الله تعالىٰ بالرحمن، قال ابن جرير: وقد أنشد بعض الجاهلية الجهال:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمن ربي يمينها

وقال سلامة بن جندب الطهوي:

عجلتم علينا إذ عجلنا عليكم وما يشأ الرحمن يَعْقِدْ ويُطْلِقُ

وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

والرحيم ذو الرحمة الواصلة، وليس بمختص فقد سمىٰ الله تعالىٰ نبيه ﷺ رؤوفًا رحيمًا، وهو دال علىٰ صفة الرحمة المتعدية قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. والله أعلم، وبالله التوفيق[(١)].

تفسير قول الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١]

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الحمد: ذكر محاسن المحمود بالقلب واللسان مع محبته وتعظيمه، ويكون علىٰ الصفات اللازمة كالجمال والطول ونحو ذلك، والمتعدية كالشجاعة والكرم ونحو ذلك.

والفرق بين الحمد والمدح: أن الحمد لابدّ فيه من المحبة والتعظيم، بخلاف المدح فإنّه إخبار مجرّد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بدائع الفوائد (٢/ ٩٢): (المخبر عن محاسن الغير إما أن يقترن بإخباره حب له وإجلال أو لا، فإن اقترن به الحب فهو الحمد وإلا فهو المدح) اهـ

وإذا كُرر الحمد صار ثناءً؛ فالثناء هو: تكرار المحامد.

ويدل علىٰ ذلك ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، قَالَ اللهُ**

(١) تفسير الطبري (١/ ١١٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٥٦)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٧)، الصاحبي لابن فارس (٢٧١).

تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي..» الحديث.

فقال سبحانه في الحمد: «**حمدني عبدي**»، فلما كرر الوصف قال: «**أثنىٰ علي عبدي**».

وقد افتتح الله تعالىٰ خمس سور في القرآن بالحمد:

١- **سورة الفاتحة**: قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١].

٢- **سورة الأنعام**: قال تعالىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

٣- **سورة الكهف**: قال تعالىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١].

٤- **سورة سبأ**: قال تعالىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١].

٥- **سورة فاطر**: قال تعالىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

و (ال) في الحمد للاستغراق؛ أي: أن جميع أجناس الحمد وصنوفه ثابتة لله تعالىٰ.

الفرق بين الحمد والشكر:

اختلف أهل العلم في الفرق بين الحمد والشكر علىٰ قولين:

الأول: أن الحمد والشكر بمعنىً واحد، وأنه ليس بينهما فرق، واختار هذا ابن جرير الطبري وغيره.

الثاني: أن بينهما فروق، ومن تلك الفروق:

١- أن الحمد يكون بالقلب واللسان، بخلاف الشكر، فهو بالقلب واللسان والجوارح.

٢- أن الحمد يكون في مقابل نعمة، ويكون بدونها، بخلاف الشكر لا يكون إلا في مقابل نعمة.

والقول الثاني هو الصواب؛ فالحمد أعم متعلقًا فيكون في النعمة وغيرها، وأخص آلة فيكون بالقلب واللسان.

والشكر بالعكس؛ إذ هو أخص متعلقًا فيكون في النعمة فقط، وأعم آلة فيكون بالقلب واللسان والجوارح، كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثةً يدي ولساني والضميرَ المُحَجَّبا

وشكر القلب: أن يقر العبد ويعترف أن هذه النعمة من الله؛ فيحبه لهذا الإنعام.

وشكر اللسان: التحدث بنعم الله من باب الشكر لا من باب المفاخرة.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ: ١١].

وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر**..» الحديث، صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٩٦).

وشكر الجوارح: استعمالها في طاعة الله[(١)].

(١) تفسير ابن جرير (١/ ١٣٥)، تفسير القرطبي (١/ ٢١١، ٢١٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٨).

فائدة:

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في أضواء البيان (١/ ٤٧): (قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لم يذكر لحمده هنا ظرفًا مكانيًّا ولا زمنيًّا. وذكر في سورة الروم أن من ظروفه المكانية: السموات والأرض في قوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ١٨] الآية. وذكر في سورة القصص أن من ظروفه الزمانية: الدنيا والآخرة في قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠] الآية. وقال في أول سورة سبأ: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١]) اهـ

قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ﴾: الرب: اسم من أسماء الله تعالىٰ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة، فيقال: رب الدار ورب المال ونحو ذلك.

ومن معانيه في اللغة:

السيد: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] وفي الحديث: «**أن تلد الأمة ربتها**» أي: سيدتها.

المصلح الشيء والمدبر له: وفي الحديث: «**هل لك من نعمةٍ تَرُبُّها عليه**» أي: تقوم بها وتصلحها.

ومنه قول الفرزدق بن غالب:

كانوا كسالِئةٍ حمقاءَ إذ حقنت ... سِلاءَها في أديمٍ غير مربوبِ

يعني بذلك: في أديم غير مُصْلَح.

المالك: فكل من ملك شيئا فهو ربه.

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ١٤٢): (فربنا جل ثناؤه السيد الذي لا شِبه له، ولا مِثْلَ في سؤدده والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه

والمالك الذي له الخلقُ والأمر) اهـ

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٩): (الرب هو: المالك المتصرف، ويطلق في اللغة علىٰ السيد، وعلىٰ المتصرف للإصلاح وكل ذلك صحيح في حق الله تعالىٰ) اهـ

فالرب ﷻ هو المربي جميع العالمين بخلقه لهم وإنعامه عليهم.

قوله ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جمع عالم، وهو كل موجود سوىٰ الله ﷻ، والعالم جمع لا واحد له من لفظه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والعالمين: جمع عالم وهو كل موجود سوىٰ الله ﷻ والعالم جمع لا واحد له من لفظه والعوالم أصناف المخلوقات في السموات وفي البر والبحر وكل قرنٍ منها وجيل يسمىٰ عالمًا أيضًا) اهـ[1]

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لم يبين هنا ما العالمون، وبين ذلك في موضع آخر بقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤] الآية) اهـ[2]

والعالم مشتق من العلامة؛ لأنه عَلَم يدل علىٰ موجده وخالقه؛ فكل ما في هذا الكون دليل علىٰ قدرة الله ﷻ، وأنه الخالق المالك المدبر، كما أنه دال علىٰ وحدانيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي هذا يقول ابن المعتز:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَىٰ الْإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدُ

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥١).

(٢) أضواء البيان (١/ ٤٧).

واشتملت هذه الآية وهي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، علىٰ نوع من أنواع التوحيد؛ وهو توحيد الربوبية.

وتوحيد الربوبية: هو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

تفسير قول الله تعالى:

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢، ٣]

قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: تقدم أنهما اسمان من أسماء الله الحسنىٰ، مشتقان علىٰ وجه المبالغة وأن (رحمن) أشد مبالغة من (رحيم).

وأن (رحمن) ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحمته للبر والفاجر، وهو متضمن لصفة الرحمة المتعلقة بالذات.

والرحيم ذو الرحمة الواصلة، وهو دال علىٰ صفة الرحمة المتعدية.

وقيل: هي رحمة خاصة بالمؤمنين، واعترض عليه بقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥] بعد ذكر نعم الله الكونية العامة.

- ووصف الله نفسه بـ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بعد ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنه لما كان في اتصافه بـ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ترهيب، قرنه بـ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، لما تضمن من الترغيب، ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه؛ فيكون أعون علىٰ طاعته وأمنع، كما قال تعالىٰ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

وقال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم المؤمن**

ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد»[(١)].

- وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ سماه الله ثناء كما تقدم في حديث أبي هريرة عند مسلم، وتقدم الفرق بين الحمد والثناء.

قوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ﴾: قرأ بعض القراء: (مَلِكِ)، وقرأ آخرون: (مَالِكِ) وكلاهما صحيح متواتر في السبع.

وقراءة (مَلِكِ) مشتقة من المُلْك، و (مَالِكِ) مشتقة من المِلْك، فقراءة (مَلِكِ) أي: لله الملك خالصًا يوم الدين.

وأما علىٰ قراءة (مَالِكِ) فمعناه: لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكمًا كمِلْكِهم في الدنيا فهو الذي يملك الحكم وفصل القضاء.

- واختلف العلماء أيهما أبلغ ملك أو مالك؟

فقيل: (ملك) أعم وأبلغ من مالك إذ كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا، ولأن أمر الملك نافذ علىٰ المالك في مِلكه حتىٰ لا يتصرف إلا عن تدبير الملك.

وقيل: (مالك) أبلغ؛ لأنه يكون مالكا للناس وغيرهم، فالمالك أبلغ تصرفًا وأعظم[(٢)].

قلت: والصحيح أن كلا القراءتين صحيح متواتر، وأن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية يتميز به عن الآخر، والله أعلم.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والحق أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢١٥).
(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١/ ١٥٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢١٦).

لا يوجد في الآخر فالمالك يقدر علىٰ ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعتق ونحوها والمِلك يقدر علىٰ ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلىٰ تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية فالمالك أقوىٰ من الملك في بعض الأمور والملك أقوىٰ من المالك في بعض الأمور والفرق بين الوصفين بالنسبة إلىٰ الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته والمالك صفة لفعله) اهـ[1]

قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: يوم الحساب والجزاء للخلائق، وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر إلا من عفا عنه.

فالدين المراد به هنا: الجزاء والحساب كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥] وقال: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣]؛ أي: مجزيون محاسبون.

وللدين معانٍ أخرىٰ، قال السجستاني في غريب القرآن ص (٩٣): («دين» يكون علىٰ وجوه منها: الدين ما يتدين به الرجل من الإسلام أو غيره، والدين الطاعة، والدين العادة، والدين الجزاء والحساب، والدين السلطان) اهـ

- وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين وذلك عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلىٰ يوم الدين؛ لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئًا ولا يتكلم أحد إلا بإذنه كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨] ، وقال تعالىٰ: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٢).

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥][(١)].

- والملِك في الحقيقة هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ الآية [الحشر: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**»، ولمسلم: «**أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**».

- ويجوز وصف المخلوق بـ (مالك وملك) لمن اتصف بمفهومهما، ومعلوم أن مِلك الإنسان ومُلكه محدود.

قال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠].

وفي الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ناسٌ مِن أُمَّتي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزاةً في سَبيلِ اللهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هذا البَحْرِ، مُلُوكًا علَىٰ الأسِرَّةِ**».

أوْ: «**مِثْلَ المُلُوكِ علَىٰ الأسِرَّةِ** -شَكَّ إسْحاقُ-»[(٢)].

- وقوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؛ سماه الله تمجيدًا فقال: «**مجدني عبدي**» كما في حديث أبي هريرة المتقدم.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٤).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٤).

والفرق بين الحمد والتمجيد:

أن التمجيد حمد وثناء ولكنه ثناء خص بصفات القوة والقهر والغلبة والسلطان.

وقيل: إن الحمد إذا كرر صار ثناء، وإذا كرر ثلاث مرات فأكثر صار تمجيدًا كما في حديث أبي هريرة المتقدم، والله أعلم.

مسألة: حكم التسمي بـ (ملك الملوك) ونحوها.

لا يجوز أن يتسمىٰ أحد بـ (ملك الملوك) أو نحو ذلك، ولا أن يدعىٰ به ويدل علىٰ ذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَخْنَعُ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّىٰ بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ**».

ولمسلم: «**وَلَا مَالِكَ إِلَّا الله** عَزَّ وَجَلَّ».

قال سفيان: مثل: شاهان شاه.

وقال أحمد بن حنبل: سألت أباعمرو الشيباني عن (أخنع) فقال: أوضع.

وفي مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ علَىٰ اللهِ يَومَ القِيامَةِ، وأَخْبَثُهُ وأَغْيَظُهُ عليه، رَجُلٍ كانَ يُسَمَّىٰ مَلِكَ الأَمْلاكِ، لا مَلِكَ إِلَّا الله**».

قال ابن الحصّار: (وكذلك (ملك يوم الدين)، و (مالك الملك)؛ لا ينبغي أن يختلف في أن هذا محرم علىٰ جميع المخلوقين كتحريم (ملك الأملاك) سواء) اهـ[1]

تفسير قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤]

قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ﴾: قرأ السبعة والجمهور بتشديد الياء من (إيَّاك) وقرأ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢١٨).

عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر وهي قراءة شاذة مردودة لأن (إِيَا) ضوء الشمس.

وقرأ بعضهم (أَيَّاك) بفتح الهمزة وتشديد الياء، وقرأ بعضهم (هَيَّاك) بالهاء بدل الهمزة.[١]

قوله تعالىٰ: ﴿نَعْبُدُ﴾: العبادة في اللغة: من الذلة من قولهم: طريق معبد؛ أي: مذلل قد أثر الناس فيه.

وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة) اهـ[٢]

ولقبول العبادة شرطان:

الأول: الإخلاص لله بالتوحيد: قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وهذا هو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

الثاني: المتابعة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: نستعين بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع سوىٰ يحيىٰ بن وثّاب والأعمش فإنهما كسراها وهي لغة بني أسد وربيعة

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٥).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٥)، غريب القرآن للسجستاني (١٤٠)، مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٤٩).

وبني تميم.

والاستعانة طلب العون، والمعنىٰ أننا نطلب العون والتأييد والتوفيق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ عبادتنا له.

وهذا كمال التوكل وصدق الاعتماد عليه سبحانه.

والعبد إن لم يكن له عون من الله فلن يستطيع أداء ما عليه من العبادات وغيرها.

ولذلك كان النبي ﷺ يسأل الله العون كما في مسند أحمد (١٩٩٧) وغيره عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**ربِّ أعِنِّي ولا تُعِنْ عليَّ**»، والحديث في الصحيح المسند للعلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٦٠٢).

وقال لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موصيًا إياه كما عند أبي داود (١٥٢٢) وغيره: «**يا مُعاذُ، والله إنِّي لأحبُّكَ، والله إنِّي لأحبُّك، فقالَ: أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعنَّ في دُبُرَ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي علىٰ ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ**». والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود (١٥٢٢).

وقدم المفعول وهو (إيّاك) وكرر؛ للاهتمام والحصر، أي لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة.

والدين يرجع كله إلىٰ هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة؛ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

فالأول: تبرؤ من الشرك.

والثاني: تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ.

وهذا المعنىٰ في غير آية من القرآن؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ﴾ [الملك: ٢٩].

وقال: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

وكذلك هذه الآية الكريمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

وتحول الكلام من الغيبة إلىٰ المواجهة بكاف الخطاب، وهو مناسبة؛ لأنه لما أثنىٰ علىٰ الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالىٰ؛ فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

وفي هذا دليل علىٰ أن أول السورة خبر من الله تعالىٰ بالثناء علىٰ نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنىٰ، وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك؛ ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه كما جاء في الصحيحين عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**».

وفي صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ: «**يَقُولُ الله تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**».

فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: إياك نوحد ونخلص لك العبادة لا سواك.

وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نطلب منك العون علىٰ طاعتك وعلىٰ أمورنا كلها.

وإنما قدم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ علىٰ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ لأن العبادة له هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها، والاهتمام والحزم هو أن يقدم ماهو الأهم فالأهم، والله أعلم.[1]

- **فإن قيل: فما معنىٰ النون في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإن كانت للجمع فالداعي واحد وإن كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام؟**

فالجواب: بأن المراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد والمصلي فرد منهم ولا سيما إن كان في جماعة، أو إمامهم فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لأجلها وتوسط لهم بخير.

ومنهم من قال: يجوز أن تكون للتعظيم. قيل: إذا كنت داخل العبادة فأنت شريف وجاهك عريض فقل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وإن كنت خارج العبادة فلا تقل نحن ولا فعلنا ولو كنت في مائة ألف أو ألف ألف لاحتياج الجميع إلىٰ الله ﷻ وفقرهم إليه.

ومنهم من قال: إياك نعبد ألطف في التواضع من إياك عبدنا لما في الثاني من تعظيم نفسه من جعله نفسه وحده أهلا لعبادة الله تعالىٰ الذي لا يستطيع أحد أن يعبده حق عبادته ولا يثني عليه كما يليق به[2].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: (والمجيء بالنون في الفعلين لقصد الإخبار من

---

(١) تفسير الطبري (١/ ١٦٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٥٥).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٥).

الداعي عن نفسه وعن جنسه من العباد، وقيل: إن المقام لما كان عظيمًا لم يستقل به الواحد استقصارًا لنفسه واستصغارًا لها فالمجيء بالنون لقصد التواضع لا لتعظيم النفس) اهـ[1]

- والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لانتسابه إلىٰ جناب الله تعالىٰ.

وقد سمىٰ الله رسوله ﷺ بعبده ووصفه بالعبودية في أشرف مقاماته فقال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الكهف: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

وقال: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

فسماه عبدًا عند إنزاله عليه، وعند قيامه في الدعوة وإسرائه به.

وأرشده إلىٰ القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين؛ حيث يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩][2].

تفسير قول الله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥]

قوله تعالىٰ: ﴿ ٱهْدِنَا﴾: لما تقدم الحمد والثناء علىٰ المسؤول تبارك وتعالىٰ وتمجيده ناسب أن يُعَقَّب بالسؤال كما قال: «**فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل**»، وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسؤوله ويثني عليه ويمجده ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: (اهدنا)؛ لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة، ولهذا أرشد الله تعالىٰ إليه

(١) فتح القدير (١/ ٢٢).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٥).

لأنه الأكمل.

وجاء عند أبي داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧) وغيرهما من حديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعَ النبيُّ ﷺ رجلًا يَدْعُو في صلاتِهِ فلمْ يُصَلِّ علىٰ النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «**عَجِلَ هذا**»، ثُمَّ دعاهُ فقال لهُ أوْ لغيرِهِ: «**إذا صلَّىٰ أحدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ والثَّناءِ عليهِ ثُمَّ لِيُصَلِّ علىٰ النبيِّ ﷺ ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِما شاءَ**».

والمراد بالهداية هنا هداية الإرشاد والتوفيق.

وطلب الهداية من المهتدي معناه طلب الزيادة من الهداية كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

وهداية الله تعالىٰ للإنسان علىٰ أربعة أقسام:

الأول: الهداية العامة وتكون للناس جميعا من العقل والفطنة والمعارف الضرورية كما في قوله تعالىٰ: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

الثاني: هداية الدلالة والارشاد: وهي الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم علىٰ ألسنة الأنبياء وإنزال الكتب ونحو ذلك كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤] وهي المقصودة -أيضًا- في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

الثالث: هداية التوفيق للعمل الصالح الذي يختص به من اهتدىٰ وهي المقصودة بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، وقوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦].

الرابع: الهداية في الآخرة إلىٰ الجنة كما في قوله تعالىٰ: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥]، وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

وهذه الهدايات الأربع مترتبة فإن لم تحصل له الأولىٰ لا تحصل له الثانية ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها، وقد تحصل له الأولىٰ ولا يحصل له ما بعدها.

ولا يستطيع أحد أن يهدي أحدا إلا بالدعاء و الإرشاد وإلىٰ هذا أشار الله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، وكذا قوله تعالىٰ: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤] وقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] وإلىٰ سائر الهدايات أشار بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] وكل هداية ذكر الله ﷻ أنه منع الظالمين والكافرين فيها الهداية الثالثة والرابعة، هداية التوفيق وهداية دخول الجنة كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧] ونحو ذلك[(١)].

والمؤمن دائمًا يسأل الله الهداية والسداد، وهكذا كان يعلم النبي ﷺ أصحابه؛ ففي صحيح مسلم (٢٧٢٥) عن علي رضي الله عنه قال: قالَ لي رَسولُ اللهِ ﷺ: «**قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بالهُدَىٰ هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ**».

وفي رواية: «**قل اللهم إني أسألك الهدىٰ والسداد**».

وجاء عند أبي داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤) وغيرهما من حديث

(١) المفردات للراغب (٢/ ٧٠٠، ٧٠١)، وبدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٣٥).

الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: علَّمني رسولُ اللهِ ﷺ كلماتٍ أقولُهنَّ في قُنوتِ الوِترِ: «**اللهمَّ اهدِني فيمَن هدَيتَ وعافِني فيمَن عافَيتَ وتولَّني فيمَن تولَّيتَ وبارِكْ لي فيما أعطَيتَ وقِني شرَّ ما قضَيتَ فإنك تَقضي ولا يُقضَىٰ عليك إنه لا يَذِلُّ مَن والَيتَ تبارَكتَ ربَّنا وتعالَيتَ**».

فإن قيل: فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا؟

فالجواب: أن لا، ولولا احتياجه ليلًا ونهارًا إلىٰ سؤال الهداية لما أرشده الله تعالىٰ إلىٰ ذلك فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلىٰ الله سبحانه في تثبيته علىٰ الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها، واستمراره عليها؛ فإن العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله؛ فأرشده الله تعالىٰ إلىٰ أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق؛ فالسعيد من وفقه الله تعالىٰ لسؤاله؛ فإنه تعالىٰ قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ولاسيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار، وقد قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ الآية [النساء: ١٣٦].

فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل، لأن المراد: الثبات والاستمرار والمداومة علىٰ الأعمال المعينة علىٰ ذلك، والله أعلم[(١)].

قوله ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: الصراط الطريق المستقيم، ويقال له سراط

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٩).

- بالسين - وهو الأصل، والسراط الطريق المستسهَل.

وقرأه الجمهور بالصاد وقرئ سراط، وقرئ بين الزاي والصاد وقرئ بزاي خالصة.

وقال الفراء: الزراط -بإخلاص الزاي- لغة لعذرة وكلْب وبني القَيْن وروي عن حمزة: إشمام السين زايا.(١)

والمستقيم: صفة لـ (صراط) وهو الذي لا اعوجاج فيه، ولا انحراف ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

واختلفت عبارات المفسرين في المراد بالصراط:

فقيل: إنه كتاب الله.

وقيل: إنه دين الإسلام، قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن.

وقيل: إنه الطريق الهادي إلىٰ دين الله، جاء عن ابن عباس وبه قال مجاهد.

وقيل: إنه طريق الجنة، نقل عن ابن عباس أيضًا.

وقيل: هو النبي ﷺ وصاحباه من بعده، قاله أبو العالية.

قلت: وهذه الأقوال ليست ببعيدة، ولكن أقربها أن المراد بالصراط الإسلام وهذا الذي فسره به النبي ﷺ كما عند أحمد (١٧٦٣٤) والترمذي (٢٨٥٩)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٢٣٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضربَ اللهُ تعالىٰ مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلىٰ جنْبَتَيِ الصراطِ**

(١) المفردات للراغب (١/ ٣٠٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ١٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٢٨).

سورانِ، فيهما أبوابٌ مُفَتَّحَةٌ، وعلَىٰ الأبوابِ ستورٌ مُرْخَاةٌ، وعلىٰ بابِ الصراطِ داعٍ يقولُ: يا أيُّها الناسُ! ادخلوا الصراطَ جميعًا ولَا تَتَعَوَّجوا، وداعٍ يدعُو مِنْ فَوْقِ الصراطِ، فإذا أرادَ الإنسانُ أنْ يفتحَ شيئًا مِنْ تِلْكَ الأبْوابِ قالَ: وَيْحَكَ لا تَفْتَحْهُ، فإنَّكَ إنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، فالصراطُ الإسلامُ، والسُّورانِ حدودُ اللهِ، والأبوابُ الْمُفَتَّحَةُ محارِمُ اللهِ تعالىٰ، وذلِكَ الدَّاعِي علىٰ رأسِ الصراطِ كتابُ اللهِ، والداعي مِنْ فوقٍ واعظُ اللهِ في قلْبِ كُلِّ مسلِمٍ»[1].

تَفْسِير قول الله تعالى:

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]

قوله تعالىٰ: ﴿صِرَٰطَ﴾: انتصب (صراط) علىٰ أنه بدل من الأول، وفائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير، ويجوز أن يكون عطف بيان وفائدته الإيضاح.

وقيل: هو صراط آخر، ومعناه: العلم بالله ﷻ والفهم عنه.

والقول الأول هو الصواب، والله أعلم.

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: لغة القرآن (الذين) في الرفع والنصب والجر، وهُذَيل تقول: الذون في الرفع، ومن العرب من يقول: اللذو، ومنهم من يقول: الذي.

قوله تعالىٰ: ﴿أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾: هم المذكورون في سورة النساء في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلفَضلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (١/ ١٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٥٧).

وأطلق الإنعام؛ ليشمل كل إنعام.[١]

قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: قرأ الجمهور (غيرِ) بالجرِّ علىٰ النعت.

واختُلف في ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ و ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ من هم؟

فالجمهور علىٰ أن المغضوب عليهم: اليهود، والضالين: النصارىٰ.

وجاء ذلك مفسرا عن النبي ﷺ كما في الترمذي (٢٩٥٤) عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اليَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ وَالنَّصَارَىٰ ضُلَّالٌ**».

قال ابن أبي حاتم: (لا أعلم خلافًا بين المفسرين في تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارىٰ).

ويشهد لهذا التفسير النبوي آيات من القرآن الكريم منها:

قال تعالىٰ في خطابه لبني إسرائيل في سورة البقرة: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠].

وقال تعالىٰ في سورة المائدة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٢٩)، فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٤)، إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٧٥).

لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وكذا ما جاء عن زيد بن عمرو بن نفيل ففي البخاري (٣٨٢٧) تعليقًا: (أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَىٰ الشَّامِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ، وَيَتْبَعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ اليَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ، فَأَخْبِرْنِي، فَقَالَ: لاَ تَكُونُ عَلَىٰ دِينِنَا حَتَّىٰ تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ الله، قَالَ زَيْدٌ مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ الله، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ الله شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّىٰ أَسْتَطِيعُهُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَىٰ غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ زَيْدٌ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا، وَلاَ نَصْرَانِيًّا، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا الله، فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَىٰ فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَكُونَ عَلَىٰ دِينِنَا حَتَّىٰ تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ لَعْنَةِ الله، قَالَ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ الله، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ الله، وَلاَ مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّىٰ أَسْتَطِيعُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَىٰ غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا الله، فَلَمَّا رَأَىٰ زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَىٰ دِينِ إِبْرَاهِيمَ).

وهذا هو التفسير المتعين لهذه الآية، وهو الذي عليه أئمة التفسير من السلف رحمهم الله.

وقيل: (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ): المشركون.

و(الضَّالِّينَ): المنافقون.

وقيل: (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ): باتباع البدع.

و(الضَّالِّينَ): عن سنن الهدىٰ.

وقيل: غير ذلك.

والتفسير المتعين هو التفسير النبوي والذي عليه الجمهور كما تقدم.

ومعنىٰ الآية: اهدنا يا رب هداية الإرشاد والتوفيق والسداد الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ممن تقدم وصفهم ونعتهم، وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسله، وامتثال أوامره وترك نواهيه وزواجره، غير صراط المغضوب عليهم، وهم الذين فسدت إرادتهم، فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلىٰ الحق.

وأكد الكلام بلا ليدل علىٰ أن ثم مسلكين فاسدين، وهما: طريقة اليهود وطريقة النصارىٰ.

وأما طريقة أهل الإيمان فمشتملة علىٰ العلم بالحق والعمل به.

واليهود فقدوا العمل، والنصارىٰ فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارىٰ، لأن من علم وترك استحق الغضب، بخلاف من لم يعلم.

والنصارىٰ لما كانوا قاصدين شيئًا لكنهم لا يهتدون إلىٰ طريقه، لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الرسول الحق، ضلوا.

وكل من اليهود والنصارىٰ ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب، كما قال الله فيهم: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠].

وأخص أوصاف النصارىٰ الضلال كما قال الله فيهم: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧][1].

بعض الفوائد المتعلقة بسورة الفاتحة:

الفائدة الأولىٰ: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (١/ ٦٣): (اشتملت

(١) تفسير القرطبي (١/ ٢٣٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٦١، ٦٢)، فتح القدير (١/ ٢٥).

هذه السورة الكريمة وهي سبع آيات، علىٰ: حمد الله وتمجيده والثناء عليه، بذكر أسمائه الحسنىٰ المستلزمة لصفاته العليا، وعلىٰ ذكر المعاد وهو يوم الدين، وعلىٰ إرشاده عبيده إلىٰ سؤاله والتضرع إليه، والتبرؤ من حولهم وقوتهم، وإلىٰ إخلاص العبادة له وتوحيده بالألوهية تبارك وتعالىٰ، وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، وإلىٰ سؤالهم إياه الهداية إلىٰ الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، وتثبيتهم عليه حتىٰ يفضي بهم ذلك إلىٰ جواز الصراط الحسي يوم القيامة، المفضي بهم إلىٰ جنات النعيم في جوار النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

واشتملت علىٰ الترغيب في الأعمال الصالحة، ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتحذير من مسالك الباطل؛ لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم والضالون.

وما أحسن ما جاء إسناد الإنعام إليه في قوله تعالىٰ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ [الفاتحة: ٧]، وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالىٰ: ﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم﴾ [الفاتحة: ٧]، وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَم تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوا۟ قَومًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيهِم﴾ الآية [المجادلة: ١٤]، وكذلك إسناد الضلال إلىٰ من قام به، وإن كان هو الذي أضلهم بقدره، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن يَهدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلمُهتَدِ ۖ وَمَن يُضلِل فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وقال: ﴿مَن يُضلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُم فِى طُغيَٰنِهِم يَعمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]. إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال، لا كما تقوله الفرقة القدرية ومن حذا حذوهم، من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه، ويحتجون علىٰ بدعتهم بمتشابه من القرآن، ويتركون

ما يكون فيه صريح في الرد عليهم، وهذا حال أهل الضلال والغي، وقد ورد في الحديث الصحيح: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمىٰ الله فاحذروهم**». يعني في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، فليس -بحمد الله- لمبتدع في القرآن حجة صحيحة؛ لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل مفرقا بين الهدىٰ والضلال، وليس فيه تناقض ولا اختلاف؛ لأنه من عند الله تنزيل من حكيم حميد) اهـ

قلت: حديث «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمىٰ الله فاحذروهم**» في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الفائدة الثانية: قال الحافظ ابن كثير -أيضًا في تفسيره- (١/ ٦٣): (والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء لقرب مخرجيهما؛ وذلك أن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، ولأن كلًّا من الحرفين من الحروف المجهورة ومن الحروف الرخوة ومن الحروف المطبقة، فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك والله أعلم. وأما حديث: «**أنا أفصح من نطق بالضاد**» فلا أصل له والله أعلم) اهـ

قلت: يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء لمن لا يستطيع التمييز بينهما والنطق السليم، أما إن كان بإمكانه التمييز والنطق الصحيح لكل منهما؛ فإنه ينبغي تعلم ذلك والعمل به لتتم القراءة الصحيحة لكلام الله تعالىٰ، والله أعلم.

الفائدة الثالثة: قال الشنقيطي في أضواء البيان (١/ ٥١): (يؤخذ من هذه الآية الكريمة -يعني قوله تعالىٰ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]- صحة

إمامة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم -أعني: الفاتحة- بأن نسأله أن يهدينا صراطهم، فدل ذلك علىٰ أن صراطهم هو الصراط المستقيم وذلك في قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

وقد بين الذين أنعم عليهم فعد منهم الصديقين، وقد بين ﷺ أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الصديقين، فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم، الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلىٰ صراطهم، فلم يبق لبس في أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الصراط المستقيم، وأن إمامته حق) اهـ

الفائدة الرابعة: يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها: آمين بالمد، ويقال: أمين بالقصر أيضا.

وفي معنىٰ آمين ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معنىٰ آمين: كذلك يكون، حكاه ابن الأنباري عن ابن عباس والحسن.

والثاني: أنها بمعنىٰ: اللهم استجب. قاله الحسن والزجاج.

والثالث: أنه اسم من أسماء الله تعالىٰ، قاله مجاهد وهلال بن يساف.

قلت: وأقوىٰ الأقوال أنها بمعنىٰ اللهم استجب، والله أعلم.

- والدليل علىٰ استحباب التأمين عقب قراءة الفاتحة ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر قال: سمعت النبي ﷺ قرأ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧] فقال: «**آمين**» مدّ بها صوته ولأبي داود: (رفع بها صوته).

ولحديث أبي هريرة في الصحيحين مرفوعًا: «**إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر الله ما تقدم من ذنبه**».

وفي صحيح مسلم عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إذا قال -يعني: الإمام-: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾؛ فقولوا: آمين؛ يجبكم الله**»[1].

تم تفسير سورة الفاتحة والحمد لله علىٰ توفيقه.

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٤)، زاد المسير لابن الجوزي (١/ ١٦، ١٧)، وفتح القدير للشوكاني (١/ ٢٥، ٢٦).

تَفْسِيرُ
جُزْءِ عَمَّ

سورة النبأ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ [النبأ: ١-١٦].

سورة النبأ مكية، وقد تضمنت هذه السورة إثبات البعث والجزاء بالأدلة والبراهين.

قال تعالىٰ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾: (عم): أصله (عن) و (ما) أدغمت النون في الميم، ثم حذف ألف الميم لدخول حرف الجر عليه؛ للفرق بين (ما) الاستفهامية و (ما) الموصولة.

والمعنىٰ: عن أي شيء يتساءل المشركون؟

قال تعالىٰ: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾: أي أن تساؤلهم عن الخبر العظيم.

قال قتادة: النبأ العظيم: البعث بعد الموت.

وقال مجاهد: القرآن. ويشهد له قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص:

٦٧]. وكلا القولين قوي، ولعل الأول أظهر؛ لما ورد من تساؤلهم عن الساعة وتكذيبهم بها، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾: أي: الذي كثر فيه اختلافهم بسبب تكذيبهم بما جاء به النبي ﷺ من الآيات والذكر الحكيم ولو تدبروا ذلك لما اختلفوا قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ولكنِ المكذِّبون بلقاء ربهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: أي: سيعلمون ذلك اليوم حقًّا وسيعلمون عاقبة تكذيبهم؛ إذا نزل بهم العذاب كما قال تعالىٰ: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور: ١٣، ١٤].

قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: أي ثم سيتأكد لهم ذلك، وفي هذا تهديد شديد

ووعيد أكيد.

ثم شرع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يبين قدرته العظيمة علىٰ الخلق الدال علىٰ عظمته وقدرته علىٰ ما يشاء من أمر المعاد وغيره.

فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾: أي: ألم نصير الأرض ممهدة ذلولا لكم ساكنة ثابتة مهيأة لكم ولمصالحكم من الحروث والمساكن والسبل، وهذه نعمة عظيمة من نعم الله عليكم.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: أي: وجعلنا الجبال لها أوتادًا تثبتها لئلا تميد بكم وتضطرب، قال تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥].

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أي: ذكرانًا وإناثًا؛ ليسكن كل منكما إلىٰ الآخر، ويستمتع كل منكما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك، وهذه نعمة من نعم الله وآية من آياته كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾: أي راحة لكم وقطعًا للحركة (الإرادية)؛ ليحصل السكون والراحة من كثرة السعي في المعايش في النهار التي متىٰ تمادت بكم أضرت بأبدانكم أبلغ الضرر.

فمن رحمة الله أن جعل الليل لباسًا والنوم سباتًا حتىٰ يحصل للبدن الدعة والراحة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ الآية [الفرقان: ٤٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ

ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٢-٧٣].

بل إن النوم آية من آيات الله كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: ٢٣].

قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾: أي: يلبس الأرض ظلمته ويغشىٰ الخليقة ظلامه وسواده كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشمس: ٤].

وقال قتادة في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ١٠]: أي سكنًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾: أي جعلنا النهار مشرقًا مضيئًا ليكون سببًا لتحصيل الرزق والمعاش والتكسب ونحو ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾: أي سبع سموات في غاية القوة والإتقان محكمات الخلق وثيقة البنيان كما في قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ الآية [النازعات: ٢٧، ٢٨].

وقد أمسكها الله بقدرته وزينها بالكواكب الثوابت والسيارات كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ الآية [ق: ٦].

وجعل فيها منافع عظيمة ومن هذه المنافع الشمس.

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾: أي شمسًا مضيئة علىٰ جميع العالم، يتوهج ضوؤها لأهل الأرض جميعًا ويتقد ليحصل من حرارتها منافع

عظيمة.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾: جاء عن عكرمة ومجاهد: أن المعصرات هي الرياح.

وجاء عن الحسن وقتادة: أنها السماء.

وجاء عن ابن عباس وسفيان الثوري والربيع بن أنس: أنها السحاب، وهو الصحيح؛ لأن السحاب هي التي ينزل منها الماء، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ الآية [الروم: ٤٨].

﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾: قال مجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس: ﴿ثَجَّاجًا﴾ مُنْصَبًّا.

وقال الثوري: متتابعًا.

وقال ابن زيد: كثيرًا.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا يعرف في كلام العرب من صفة الكثرة الثج، وإنما الثَّجُّ: الصَّبُّ المتتابع) اهـ

- والأظهر أن الثَّج يستعمل في الصب المتتابع الكثير، والله أعلم بالصواب.

ويدل علىٰ هذا حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٨٢٧) أن رسولَ اللهِ ﷺ سُئل: أيُّ الحجِّ أفضلُ؟ قال: «**العجُّ والثجُّ**».

والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي.

والثج: إنهار وصب دماء البُدْن.

وكذا حديث حمنة بنت جحش عند أبي داود (٢٨٧) والترمذي (١٢٨) في

حديث المستحاضة أنها قالت: (يا رسولَ اللهِ إنِّي امرأةٌ أستَحاضُ حيضةً كثيرةً شديدةً فما ترىٰ فيها قد منعَتني الصَّلاةَ والصَّومَ، فقالَ: «**أنعتُ لَكِ الكُرسفَ؛ فإنَّهُ يذهبُ الدَّمَ**». قالت: هوَ أكْثرُ من ذلِكَ قالَ: «**فاتَّخذي ثوبًا**». فقالَت: هوَ أكْثرُ من ذلِكَ إنَّما أثُجُّ ثجًّا..) الحديث.

أي: أصب صبًّا كثيرًا متتابعًا.

والحديث في صحيح أبي داود للألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾: أي لنخرج بهذا الماء النافع ﴿حَبًّا﴾ من بر وشعير وذرة ونحو ذلك مما يؤكل ويدخر.

﴿وَنَبَاتًا﴾ أي: خَضِرًا يُؤكل رَطْبا، من الفواكه والخضار والأعلاف.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾: أي: بساتين وحدائق ملتفة علىٰ بعضها البعض؛ لكثرة أشجارها، ولأن فيها من جميع أصناف الفواكه والثمرات المتنوعة مختلفة الطعوم متفاوتة الروائح وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ الآية [الرعد: ٤].

فهذه النعم العظيمة والآيات الباهرة تدل علىٰ عظمة الله وقدرته؛ فكيف تكفرون بالذي أنعم عليكم بهذه النعم التي لا يُقدَّر قدرها ولا يُحصىٰ عددها وكيف تكذبون بما أخبركم به من البعث والنشور؟!

أم كيف تجحدون نعم الله وتستعينون بها علىٰ معاصيه؟![1]

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ١٧-٣٠].

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾: أي: يوم القيامة الذي يفصل الله فيه بين الخلائق.

﴿كَانَ مِيقَـٰتًا﴾: أي: أنه مؤقت بأجل معدود، لا يُزاد عليه ولا يُنقص منه، ولا يعلم وقته علىٰ التعيين إلا الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٤].

قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: أي: يوم ينفخ في البوق.

والصور هو قرن عظيم ينفخ فيه الملك الموكل به إسرافيل عليه السلام.

والنفخ في الصور ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أنها ثلاث نفخات، وهي:

نفخة الفَزَع، ونفخة الصَّعق، ونفخة البعث.

والصحيح أنها نفختان: الأولىٰ: نفخة الصعق وهي نفخة الفزع.

والثانية: نفخة البعث.

---

(١) تفسير ابن جرير (٢٤/ ١٤٩-١٥٦)، تفسير القرطبي (١٩/ ١٦٩-١٧٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٦-٣٠٨)، تفسير السعدي (٩٠٦).

فالأولىٰ يحصل بها الصَّعْق فتكون لقبض الأرواح، والثانية يحصل بها البعث.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقد سمىٰ القرآن النفخة الأولىٰ بالراجفة، والنفخة الثانية بالرادفة، قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦-٧].

وفي البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**» قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: «**ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾: أي: فتجيئون زمرًا زمرًا، وجماعات جماعات.

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني تأتي كل أمة مع رسولها، كقوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٣١].

قوله تعالىٰ: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾: أي: شققت السماء وصدعت، فكانت طرقا، ومسالك لنزول الملائكة.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

قوله تعالىٰ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾: أي نسفت الجبال وجعلت تسير في الجو كالهباء المبثوث كقوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ

﴿تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾: أي: تصير مثل السراب، يخيل إلىٰ الناظر أنها شيء، وليست بشيء، ثم بعد هذا تذهب بالكلية، فتزول حتىٰ لا يبقىٰ لها عين ولا أثر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: أي: مرصدة معدة لا سبيل إلىٰ الخلاص منها.

قوله: ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾: ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾: هم المردة العصاة المخالفون للرسل الذين طغوا في الدنيا؛ فتجاوزوا حدود الله استكبارًا علىٰ ربهم.

﴿مَـَٔابًا﴾: أي: مرجعًا ومنقلبًا ومصيرًا ومنزلًا ومأوىٰ.

قوله تعالىٰ: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾: أي: ماكثين فيها أحقابًا، والأحقاب جمع (حقب)، وهو: المدة الطويلة من الزمان، وقد اختلفوا في مقداره.

فقيل: بأن الحقب ثمانون سنة والسنة اثنىٰ عشر شهرًا والشهر ثلاثون يومًا واليوم مقداره ألف سنة مما تعدون.

وقيل: غير ذلك.

والله أعلم بعدتها فلا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله تعالىٰ.

قوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾: أي: لا يجدون في جهنم بردًا لقلوبهم،

ولا لأجسادهم، ولايجدون شرابًا طيبًا يتغذون به أو يدفع ظمأهم.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾: قال أبو العالية: استثنىٰ من البرد الحميم، ومن الشراب الغساق.

والحميم: هو الحار الذي قد انتهىٰ حره.

كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

والغساق: هو الزمهرير الذي انتهىٰ برده فلا يستطاع لشدة برودته.

فهم ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ إلا ﴿حَمِيمًا﴾ شديد الحرارة ﴿وَغَسَّاقًا﴾ شديد البرودة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: ٧٥].

وقيل: هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، يشربونه تعذيبًا لهم، نسأل الله السلامة.

وقيل: هو المنتن الذي لا يواجه من نتنه.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾: أي: هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا، جزاءً من جنس عملهم، وكما تدين تدان، والله المستعان.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾: أي: لم يكونوا يعتقدون أن ثمَّ دارًا يجازون فيها ويحاسبون، فلايؤمنون بالبعث والنشور ولا بالحساب والجزاء فكانوا في الدنيا لا يخافون محاسبة الله إياهم في الآخرة.

قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾: أي: وكانوا يكذِّبون بحجج الله ودلائله

علىٰ خلقه التي أنزلها علىٰ رسله، فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة.

وقوله: ﴿كِذَّابًا﴾ أي: تكذيبًا؛ فتمادوا في التكذيب والجحود.

قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾: أي: كل شيء أحصيناه وحفظناه مكتوبا عليهم وهذا عام في جميع الأعمال صغيرها وكبيرها، وسنجزيهم علىٰ ذلك، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

قوله تعالىٰ: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾: أي: يقال لأهل النار: فذوقوا أيها القوم من عذاب الله الذي كنتم به في الدنيا تكذّبون، فلن نزيدكم إلا عذابًا من جنسه ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص: ٥٨]، أي: ألوان من العذاب.

وأخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لَمْ يَنْزِلْ عَلَىٰ أَهْلِ النَّارِ آيَةٌ أَشَدُّ مِنْ هَذِهِ: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال: فَهُمْ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْعَذَابِ أَبَدًا.

وجاء عن أبي برزة الأسلمي نحوه مرفوعًا لكنه لا يثبت فيه جسر بن فَرقد: ضعيف الحديث بالكلية، كما ذكر هذا الحافظ ابن كثير في تفسيره[1].

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ١٥٧ومابعدها)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٩-٣١١)، روح المعاني للألوسي (١٥/ ٢١١ وما بعدها).

يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ: ٣١-٤٠].

بعد أن ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حال الكافرين الأشقياء في الآخرة ثنّا بذكر حال المؤمنين السعداء وما أعد لهم من الكرامة والنعيم المقيم؛

فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: أي: إن للمتقين فوزًا فازوا به فنجوا من النار.

وقيل: متنزهًا؛ لأنه ذكر بعد ذلك الحدائق والأعناب.

والمتقون: هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية بفعلهم المأمور وتركهم المحظور.

وقد ورد وصفهم وما أعد الله لهم في بداية سورة البقرة فقال الله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

وفي سورة آل عمران في قوله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦]

قوله: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا﴾: أي بساتين من نخيل وأعناب وغير ذلك.

قوله: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا﴾: أي: وحورًا كواعب.

قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: أي: نواهد.

أي: أن ثديهن نواهد لم يتدلين؛ لأنهن أبكار عرب أتراب، كما في قوله تعالىٰ: ﴿عُرُبًا أَتۡرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧].

و﴿أَتۡرَابًا﴾: أي في سن متقاربة.

قيل: في ثلاث وثلاثين سنة.

وأكمل ما تكون المرأة في هذه السن، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا﴾: أي يشربون ما لذ وطاب من المشروبات كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [محمد: ١٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]، وقوله: ﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨]

وقوله ﴿دِهَاقٗا﴾: قيل: مملوءة متتابعة.

وقيل: صافية.

وقيل: غير ذلك.

وقوله: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا﴾: أي: لايسمعون في الجنة ﴿لَغۡوٗا﴾ وهو الكلام الباطل أو اللاغي العاري عن الفائدة، ﴿وَلَا كِذَّٰبٗا﴾ وهو

الكلام الكذب.

بل هي دار السلام، وكل ما فيها سالم من النقص، كقوله تعالىٰ: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣].

وقوله: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾: أي: هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه، بفضله ومنه وإحسانه ورحمته.

﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾: أي: عطاءً كافيًا وافرًا شاملًا كثيرًا، لا نقص فيه ولا قلة.

تقول العرب: (أعطاني فأحسبني)؛ أي: كفاني. ومنه (حسبي الله)؛ أي: الله كافيَّ.

وقيل: جزاء بقدر أعمالهم.

وقوله: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: أخبر الله ﷻ عن عظمته وجلاله، وأن الذي أعطىٰ هذا النعيم الواسع؛ هو رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء.

وقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: أي: لا يقدر أحد علىٰ ابتداء مخاطبته إلا بإذنه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾: أي في يوم القيامة ﴿يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾: قيل: هو جبريل عليه السلام.

وقيل: أرواح بني آدم، واستدل له بقول الله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقيل: هم بنو آدم.

وقيل: القرآن، واستدل له بقول الله تعالىٰ: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ [النحل: ٢]. وقيل: غير ذلك.

والأظهر أنه جبريل ﷺ كما في قوله تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

وقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾: أي تكون صفوفًا متراصة كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾؛ هذا من باب عطف العام (الملائكة) علىٰ الخاص (الروح).

وأما قوله في سورة القدر: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤]؛ فهو من باب عطف الخاص علىٰ العام.

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾: أي لا يتكلم أحد من الناس.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: إلا من أذن الله له أن يتكلم كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥].

وكما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل وفيه: «**وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ**».

وقوله: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾: أي: حقًّا.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾: أي: الكائن لا محالة.

وقوله: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾: أي: فمن شاء اتخذ إلىٰ ربه في الدنيا مرجعًا وطريقًا يهتدي إليه ومنهجًا يمر به عليه، أما يوم القيامة فلا مآب ولا مرجع.

وقوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾: أي خوفناكم وحذرناكم بهذه الآيات البينات عذابا قريبا قد دنا منكم وقرب.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: أي يوم يعرض علىٰ كل امرئ جميع أعماله، خيرها وشرها، قديمها وحديثها، كقوله تعالىٰ: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وكقوله: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

وكما في الصحيحين من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه:

«.. **فينظرُ أيْمنَ منه، فلا يرىٰ إلا ما قدَّم، وينظرُ أشأَمَ منه، فلا يرىٰ إلا ما قدَّم، وينظرُ بين يدَيه، فلا يرىٰ إلا النَّارَ تِلقاءَ وجهِه..** » الحديث.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾: أي: يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا ترابًا، ولم يكن خلق أصلًا، ولا خرج إلىٰ الوجود، وذلك حين عاين عذاب الله، ونظر إلىٰ أعماله الفاسدة قد سُطِّرت عليه.

وقيل: إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا، فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور، حتىٰ إنه ليقتص للشاة الجماء من القرناء، فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها: كوني ترابًا، فتصير ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ أي: يا ليتني كنت حيوانًا فأرجع إلىٰ التراب.

كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد وغيره أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يقضي الله بين خلقه الجن والإنس والبهائم، وإنه ليقيد يومئذ الجماء من القرناء حتىٰ إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرىٰ قال الله: كونوا ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾**».

والحديث في السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (١٩٦٦)[1].

تم تفسير سورة النبأ ولله الحمد والمنة.

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ١٧٠-١٧٩)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٢، ٣١٣)، تفسير البغوي (٥/ ٢٠٢، ٢٠٣)، أضواء البيان للشنقيطي (٨/ ٤١٣).

سورة النازعات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩﴾ [النازعات: ١-٩].

سورة النازعات مكية وجاءت كغيرها من السور المكية مقررة للبعث والجزاء، وفيها قرع للقلوب المكذبة بذلك، من خلال عرض مشاهد الموت والبعث والحشر والقيامة.

قوله تعالىٰ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾: أقسم الله تعالىٰ بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار بشدة وعنف من كل عصب.

وقيل: هي أنفس الكفار تُنْزَع ثم تُنْشط ثم تغرق في النار.

وقيل: نزع القوس.

وقيل: النجوم.

وقيل: غير ذلك.

والأول أظهر وهو الذي عليه الجمهور، والله أعلم.

قوله: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾: وأقسم الله سبحانه بالملائكة التي تستل أرواح المؤمنين بسهولة ويسر؛ فتخرج كالقطرة من في السقاء.

وقيل: الملائكة تنشط روح المؤمن.

وقيل: النجوم.

وقيل: القسي في القتال.

والأول أظهر وعليه الأكثرون.

وفي مسند أحمد (١٨٥٣٤) من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الطويل وفيه: «**إِنَّ العبدَ المؤْمن إذا كان في انْقِطَاعٍ من الدُّنْيَا، وإِقْبالٍ من الْآخِرَةِ، نزل إليه من السَّمَاءِ ملائكةٌ بِيضُ الوجُوهِ، كأَنَّ وجوهَهُمُ الشمسُ، معهُمْ كفنٌ من أَكْفَانِ الجنَّةِ، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجَنَّةِ، حتىٰ يَجْلِسُوا منه مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حتىٰ يَجلِسَ عندَ رأسِه فيَقولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إلىٰ مغْفِرةٍ من الله ورِضْوَانٍ، فتخْرُجُ تَسِيلُ كما تسِيلُ القَطْرَةُ من فِي السِّقَاءِ، فيَأْخذُها، فإذا أَخَذَها، لم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفَةَ عَيْنٍ، حتىٰ يَأْخُذُوها فيَجْعَلُوهَا في ذلكَ الكَفَنِ وفي ذلكَ الحَنُوطِ، فيَخْرُجُ منها كأَطيَبِ نَفْخَةِ مِسْكٍ، وُجِدَتْ علىٰ وجْهِ الأرضِ...وإنَّ العبدَ الكافِرَ إذا كان في انقِطَاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخِرةِ، نزل إليه من السماءِ ملائكةٌ سُودُ الوجُوهِ معَهُمُ المُسُوحُ، فيجلِسُونَ منه مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الموتِ حتىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إلىٰ سَخَطٍ من الله وغَضَبٍ، فَتَفْرُقُ في جَسَدِهِ فيَنتَزِعُهَا كَما يُنتَزَعُ السَّفُّودُ من الصُّوفِ المَبْلُولِ، فيَأْخذَها، فإذا أخذَها لَم يَدعُوها في يَدِهِ طَرْفَةَ عَينٍ حتىٰ يَجْعَلُوهَا في تِلْكَ الْمُسُوحِ، يخرجُ منها كأَنْتَنِ ريحِ جِيفَةٍ، وُجِدَتْ علىٰ ظَهْرِ الأَرضِ..**» الحديث.

والحديث صحيح، وقد صححه الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند

(مسند البراء)، والإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع (١٦٧٦).

وقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾: وأقسم بالملائكة التي تسبح من السماء إلىٰ الأرض بأمر الله.

وقيل: الموت.

وقيل: النجوم.

وقيل: السفن.

والأول أظهر، والله أعلم.

وقوله: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾: وأقسم بالملائكة التي تسبق بعضها في تنفيذ أمر الله سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وقيل: يسابقون بنزول الوحي.

وكلا القولين صحيح، والله أعلم.

وقيل: الموت.

وقيل: النجوم.

وقيل: الخيل في سبيل الله.

وهي أقوال بعيدة، والله أعلم بالصواب.

وقوله: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾: وأقسم بالملائكة التي تدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض بأمر ربها، وتنفذ ما أمرها الله به؛ كالملائكة الموكلين بأعمال العباد، والملائكة الموكلين بالقطر، والملائكة الموكلين بقبض الأرواح، ونحو ذلك.

فأقسم الله ﷻ بكل ماسبق بأنه سيبعثهم جميعا يوم القيامة للحساب والجزاء.

فقال: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾: أي يوم تهتز الأرض وتضطرب عند النفخة الأولىٰ ويموت كل من علىٰ ظهرها، ثم تتبعها النفخة الثانية وبها يبعث الله من في القبور ويقع بها البعث والنشور قال الله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

قال ابن عباس: هما النفختان الأولىٰ والثانية.

وقال مجاهد: أما الأولىٰ وهي قوله جل وعلا: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ فكقوله جلت عظمته: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤]، والثانية وهي الرادفة فهي كقوله: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤].

وجاء عند الترمذي (٢٤٥٧) من حديث أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا الله اذْكُرُوا الله جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ**»، والحديث حسنه العلّامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٥٢٨١)

قوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾: أي قلوب الكفار في ذلك اليوم خائفة وجلة بسبب ما اقترفته في الدنيا من الذنوب والآثام.

قوله: ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾: أي: أبصار أصحابها ذليلة حقيرة خاضعة؛ مما عاينت من الأهوال في ذلك اليوم.

كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٦، ٧].

وكما في قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٣ مُهْطِعِينَ

مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣][(١)].

قال الله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾

[النازعات: ١٠-١٤].

قول الله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾: يعني: أن مشركي قريش ومن قال بقولهم في إنكار المعاد، يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلىٰ الحافرة، وهي: القبور.

وقيل: الحافرة: الحياة بعد الموت.

وقيل: النار.

وقيل: غير ذلك.

والأظهر أنها القبور وتكون (في) بمعنىٰ: من الحافرة؛ أي: من القبور إلىٰ الحياة، والله أعلم.

وقولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾: أي: يقولون مستنكرين أنبعث بعد تمزق أجسادنا وتَفتُّت عظامنا ونَخُورِها؟!

وقرئ: «**نَاخِرَة**»: أي بالية.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وهو العظم إذا بلي ودخلت الريح فيه.

ومما جاء من استنكارهم وتكذيبهم للبعث قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ الآيات [يس: ٧٨-٧٩].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ١٨٥-١٩٣)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٥، ٣١٤)، تفسير البغوي (٥/ ٢٠٤، ٢٠٥).

وجاء أنها أنزلت في أمية بن خلف.

وكذلك ما جاء في الصحيحين وغيرهما عن الخباب بن الأرت قال: جئتُ العاصَ بنَ وائلٍ السَّهميَّ أتقاضاهُ حقًّا لي عندَهُ، فقالَ: لا أُعطيكَ حتَّىٰ تَكْفُرَ بمحمَّدٍ، فقلتُ: لا، حتَّىٰ تموتَ ثمَّ تُبعَثَ، قالَ: وإنِّي لميِّتٌ ثمَّ مبعوثٌ، فقلتُ: نعَم، فقالَ: إنَّ لي هُناكَ مالًا وولدًا فأَقضيكَ، فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧].

قولهم: ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: أي: قالت قريش: لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن.

وهو كذلك إن ماتوا علىٰ الكفر كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: أي: فإنما هو أمر من الله لا تثنية فيه ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر الله تعالىٰ إسرافيل فينفخ في الصور نفخة واحدة، فيبعث الله من في القبور فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب ﷻ ينظرون، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]، وقوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] ، وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

وقوله: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: أي: فإذا هم بظاهر الأرض.

وقال مجاهد: كانوا بأسفلها فأخرجوا إلىٰ أعلاها.

وجاء عن سهل بن سعد الساعدي: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ قال: أرض بيضاء عفراء خالية كالخبزة النقي.

وقال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

وجاء في تفسير الساهرة أقوال أخرىٰ:

فقيل: أرض الشام.

وقيل: جبل بجوار بيت المقدس.

وقيل: أرض بيت المقدس.

وقيل: غير ذلك.

وكلها أقوال غريبة والصحيح الذي عليه الجمهور أن الساهرة هي ظاهر الأرض، والله أعلم.(١)

قال الله تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات: ١٥-٢٦].

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٤/ ١٩٤-١٩٥)، ابن كثير (٨/ ٣١٥، ٣١٦)، تفسير البغوي (٥/ ٢٠٦، ٢٠٧)

يخبر الله تعالىٰ رسوله محمدًا ﷺ عن عبده ورسوله موسىٰ ﷺ، أنه ابتعثه إلىٰ فرعون، وأيده بالمعجزات، ومع هذا استمر فرعون علىٰ كفره وطغيانه، حتىٰ أخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

وكذلك عاقبة من خالفك أيها النبي وكذب بما جئت به؛ ولهذا قال ﷻ في آخر القصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾.

وفي هذا تسلية من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيه ﷺ، ووعد له بالنصر والتمكين.

فقال الله تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾: أي: قد أتاك حديث موسىٰ وما كان من أمره مع فرعون، حيث حفظ الله موسىٰ ونصره، وأهلك فرعون، وفي هذا دليل علىٰ حفظ الله لأنبيائه ونصرهم وتأييدهم، وفيه تسلية لنبيه ﷺ أي: أن فرعون كان أقوىٰ من كفار عصرك ثم أخذناه وكذلك هؤلاء.

قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُ﴾: أي: كلمه نداء، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

وفي هذا إثبات صفة الكلام لله ﷻ بالصوت والحرف كما يليق بجلاله قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

قوله: ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾: أي: بالوادي المُطهَّر، وطوىٰ اسم الوادي علىٰ الصحيح.

قوله: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾: أي: تجبّر وتمرّد وعتا وتمادىٰ في كفره وطغيانه.

قوله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾: أي: قل له هل لك يا فرعون أن تجيب إلىٰ طريق الزكاة فتزكي نفسك بطاعة الله وتوحيده وتطهرها من دنس الكفر.

ولهذا بعث الله الرسل كما في قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

قوله: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: أي: أَدلُّك وأرشدك إلىٰ عبادة ربك.

والهداية هنا هداية دلالة وإرشاد كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

﴿فَتَخْشَىٰ﴾: أي: فتخشىٰ عقابه، ويصير قلبك خاضعًا مطيعًا بعدما كان قاسيًا خبيثًا بعيدًا من الخير.

قوله: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: يعني: فأظهر موسىٰ ﷺ لفرعون العلامة العظمىٰ الدالة علىٰ أنه رسول من ربه، وهي العصا واليد كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٧-١٠٨].

قوله: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾: أي: فما كان من فرعون إلا أن كذّب بالحق وبهذه العلامة وعصىٰ ربه ﷻ.

قوله: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾: أي: ثم أعرض وسعىٰ في مقابلة الحق بالباطل، وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسىٰ ﷺ من المعجزة الباهرة.

فجاء السحرة؛ فوعدهم فرعون ومنّاهم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣-١١٤].

قوله: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾: أي: جمع قومه وجنوده ونادىٰ السحرة كما في قوله

تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ [طه: ٥٦-٦٠].

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

فأذعنوا له وأقروا بباطله حين استخفهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤].

وإنما قال فرعون مقالته من باب المكابرة كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: ١٤].

وهو يعلم في قرارة نفسه مكابرته وكذبه كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مخبرًا عن موسىٰ ﷺ: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

قوله: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ﴾: أي: انتقم الله منه انتقامًا جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا بالغرق، وفي الآخرة بالنار كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾: أي: إن في قصة موسىٰ ﷺ مع فرعون لعبرة لمن يتعظ وينزجر.

والآيات التي تدل علىٰ أن من يخشىٰ الله هو الذي ينتفع بالآيات والعبر

كثيرة؛ فمن رأىٰ عقوبة فرعون عرف أن كل من تكبر وعصىٰ، وبارز الله بالمعصية، عاقبه الله في الدنيا والآخرة.(١)

قال الله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣].

بعد أن ذكر الله ﷻ قصة موسىٰ عليه السلام مع فرعون وما فيها من العبر والعظات قال سبحانه محتجًّا علىٰ منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئِه:

﴿ءَأَنتُمْ﴾: يامن تكذبون بالبعث والنشور.

﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ﴾: يعني: بل السماء أشد خلقًا منكم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

وقال سبحانه: ﴿أَوَ لَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

﴿بَنَىٰهَا﴾: فسره بقوله: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾: أي: جعلها عالية البناء، بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء فلا شيء أرفع من شيء ولا شيء أخفض من شيء، مُكَلَّلَةً بالكواكب؛ فرفعها وأعلاها وزينها وحفظها وحصنها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٦-١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ١٩٩-٢٠٣)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٧، ٣١٦)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٠١، ٢٠٢)، تفسير البغوي (٥/ ٢٠٧)، تفسير السعدي (٩٠٩).

مِن تَفَـٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ [الملك: ٣-٤].

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا﴾: أي: أظلم ليلها فجعله مظلمًا أسود حالكًا.

﴿وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾: أي: وأبرز نهارها؛ فجعله مضيئًا مشرقًا نيِّرًا واضحًا.

قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾: أي بعد رفع السماء، وفسر الدحو بقوله: ﴿أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا﴾: فأخرج منها الماء وأنبت العشب والمرعىٰ، وشق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال والآكام، وسائر المنافع.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ٩-١١].

بيان أن الأرض خُلِقَت قبل السماء، ولكن إنما دُحِيَت بعد خلق السماء.

قوله: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا﴾: أي: قَرَّرَها وثبتها في الأرض، وأكَّدها في أماكنها.

وهذا من دحو الأرض وتثبيتها بالجبال الرواسي.

وقوله: ﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾: أي: دَحَا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرىٰ أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبت جبالها، لتستقر بأهلها ويَقَرّ قرارها، كل ذلك تسخيرًا ومتاعًا لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار إلىٰ أن ينتهي الأمد، وينقضي الأجل.

فالذي خلق هذا كله لا يعجز عن إعادة خلقهم من جديد[(١)].

قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٣٤-٤٦].

بعد تقرير الله ﷻ لقدرته وعظمته في خلقه، قرر المعاد والجزاء:

فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: أي: إذا قامت القيامة التي تطم الناس طما؛ لهولها وشدتها.

والطامة اسم من أسماء القيامة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سميت بذلك؛ لأنها تَطُم علىٰ كل أمر هائل مفظع، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾: أي: حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله الذي عمله في الدنيا من خير وشر، كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣].

قوله تعالىٰ: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾: أي: جيء بجهنم وقد قُرِّبت وأُظهرت للناظرين فرآها الناس عِيَانًا.

وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٨٨-٩٦)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٧-٣١٩)، تفسير البغوي (٥/ ٢٠٧، ٢٠٨).

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾: أي: تمرد وعَتَا، وتجاوز الحد في الضلال.

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: فضل و قدم الحياة الدنيا الفانية علىٰ الحياة الأخرىٰ الباقية.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: أي: فإن الجحيم هي داره ومصيره ومستقره؛ مطعمه فيها الضريع، ومشربه الزقوم، وثيابه من نار تلظىٰ، لا مفر له منها ولا مهرب، كما قال تعالىٰ: ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ١٩-٢٢].

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: أي: خاف القيام بين يدي الله ﷻ.

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾: أي: نهىٰ نفسه، وزجرها عن هواها، وردها إلىٰ طاعة الله، والامتثال لأمره.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: أي: فإن الجنة هي منقلبه ومصيره وقراره.

ثم قال ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: أي: الكفار.

﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: أي: عن يوم القيامة.

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: أي: متىٰ وقتها؟

فأجابهم الله بقوله:

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾: أي: ما الفائدة لك ولهم في معرفة وقت مجيئها؟

فليس تحت ذلك فائدة إنما ذكرِّهم وخوفهم؛ ليستعدوا لها، أما علمها فليس إليك ولا إلىٰ أحد من الخلق، بل مردها ومرجعها إلىٰ الله ﷻ، فهو الذي يعلم وقتها علىٰ التعيين، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ثم قال سبحانه: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾: أي: إلىٰ الله ينتهي علمها، لا يعلمها إلا هو.

وفي صحيح مسلم (٨) عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما سأله جبريل ﷺ عن الساعة قال: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾: أي: إنما عليك أيها النبي أن تنذر الناس وتخوفهم بها وتحذرهم من بأس الله وعذابه، وسوء عقابه، فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده، واتبعك؛ فقد فاز وأفلح، ومن كذبك وخالفك؛ فقد خاب وخسر.

﴿كَأَنَّهُمْ﴾: أي الكفار.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾: أي: الساعة.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾: أي: لم يمكثوا.

﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾: ما بين الظهر إلىٰ غروب الشمس.

﴿أَوْ ضُحَىٰهَا﴾: ما بين طلوع الشمس إلىٰ نصف النهار.

فأخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنهم إذا قاموا من قبورهم إلىٰ المحشر، ورأوا الساعة

مشاهدة؛ يستقصرون مدة الحياة الدنيا، حتىٰ كأنها عندهم كانت عشية يوم واحد، أو ضحاه.

تم تفسير سورة النازعات، والحمد لله علىٰ توفيقه.

سورة عبس

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ [عبس: ١-١٦].

سورة عبس مكية، وكان سبب نزول الآيات الأولىٰ منها أن النبي ﷺ كان يناجي جماعة من عظماء قريش منهم عتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ويدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ، وقد طمع في إسلامهم، فبينما هو يخاطبهم ويناجيهم إذ أقبل ابن أم مكتوم -وكان ممن أسلم قديمًا- فجعل يسأل رسول الله ﷺ ويُلِح عليه، وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة هؤلاء؛ طمعًا ورغبةً في هدايتهم. وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل عليهم؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ الآيات.

وجاء عند أبي يعلىٰ في مسنده (٣١٢٣) بسند ظاهره الصحة عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾، جَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُكَلِّمُ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْرِمُهُ.

وجاء عند الترمذي في سننه بسند صحيح وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٣٣١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (أُنْزِلَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابنِ أمِّ مَكْتومٍ الأعمىٰ، أتىٰ رسولَ اللهِ ﷺ فجعلَ يقولُ: يا رسولَ الله أرشِدني، وعندَ رسولِ الله ﷺ رجلٌ من عُظماءِ المشرِكينَ، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يُعرِضُ عنهُ ويُقبلُ علىٰ الآخَرِ، ويقولُ: أترىٰ بما أقولُ بأسًا؟ فيقولُ: لا، ففي هذا أُنْزِلَ).

وكان سبب إعراض النبي ﷺ عن الفقير الأعمىٰ وإقباله علىٰ أشراف قريش رجاءً هدايتهم وطمعًا في تزكيتهم؛ فعاتبه الله عتابًا لطيفًا؛ فقال:

﴿عَبَسَ﴾: أي: بوجهه، والعبوس قطوب الوجه.

﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾: أي: ببدنه؛ فأعرض عنه.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾: أي: حين جاءه عبد الله بن أم مكتوم، وقيل: عمرو بن أم مكتوم.

وكان رجلًا أعمىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جاء في البخاري (٦١٧)، ومسلم (١٠٩٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ بِلالًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يُنَادِيَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ**»، ثُمَّ قَالَ: وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَىٰ، لاَ يُنَادِي حَتَّىٰ يُقَالَ لَهُ: أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ﴾: أي: الأعمىٰ.

﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾: أي: يطهر نفسه من الذنوب والمعاصي، ويتطهر عن الأخلاق والصفات السيئة.

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾: أي: أو يتذكر فينتفع ويحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم؛ فيعمل بتلك الذكرىٰ التي يسمعها منك بخلاف ذلك المعرض

الذي أقبلت عليه.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾: أي: أما الكافر الذي استغنىٰ بنفسه بما لديه من المال عن الإيمان بما جئت به؛ فأنت تتعرض له وتقبل عليه لعله يهتدي.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾: أي: وما أنت بِمُطَالَب به إذا لم يحصل له زكاة؛ فليس عليك زكاته، إنما عليك البلاغ.

كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، وقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]، وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾: أي: وأما من جاءك يسعىٰ بحثًا عن الحق، وهو الأعمىٰ جاء إلىٰ النبي ﷺ يقصده ويَؤُمُّه ليهتدي بما يقوله له، وينتفع بذلك.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾: أي: وهو يخشىٰ ربه ويتقه.

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾: أي: فأنت تتشاغل عنه بغيره من أكابر المشركين.

فأمر الله ﷻ رسوله ﷺ ألا يخص بالإنذار أحدًا، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، والغني والفقير، والسيد والعبد، والذكر والأنثىٰ، والكبير والصغير، فمن لم يؤمن بعد ذلك فليس بمحاسب علىٰ ما عمله من سوء؛ فإن الله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

فدل هذا علىٰ القاعدة المشهورة أنه: (لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة)، وأنه ينبغي الإقبال علىٰ طالب العلم

الحريص عليه المفتقر إليه، أكثر من غيره.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾: أي: حقا أن هذا القرآن أو هذه السورة، وكذا عتاب الله لنبيه ﷺ والوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم ؛ تذكرة من الله يذكر بها عباده.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: أي: فمن شاء اتعظ وانتفع وعمل به كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ﴾: أي: هذه التذكرة في صحف مكتوبة معظَّمة مُوَقَّرة.

﴿مَّرۡفُوعَةٖ﴾: أي: عالية القدر والرتبة.

﴿مُّطَهَّرَةِۭ﴾: أي: من الدَّنَس والزيادة والنقص؛ فلا تنالها أيدي الشياطين ولا يسترقونها، بل هي:

﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ﴾: أي: بأيدي الملائكة السفرة، وفي البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ**».

وذكر أهل العلم أن معنىٰ (السَّفَرَة): الكَتَبَة من السِّفْر كما في قوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة: ٥].

وقيل (السَّفَرَةُ): يعني السُّفراء بين الله وبين عباده؛ فإن جبريل ﷺ نزل بالوحي علىٰ محمد ﷺ.

﴿كِرَامِۭ﴾: في صفاتهم وأخلاقهم.

﴿بَرَرَةٖ﴾: في قلوبهم وأعمالهم؛ لكثرة أعمال البر والخير كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

فخُلقهم كريم، وأفعالهم بارة كاملة.

وذلك كله من حفظ الله لكتابه، أن جعل الموكلين به هم الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء البررة، ولم يجعل للشياطين عليه سبيلًا، وهذا مما يوجب الإيمان به، وتلقيه بالقبول.

ويستفاد من ذلك أنه ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله، علىٰ السداد والرشاد ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا[1].

قال الله تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ [عبس: ١٧-٢٣].

يقول الله ﷻ مخبرًا عن حال الكافر لنعم الله المعاند للحق بعدما تبين، وذامًّا من أنكر البعث والنشور:

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: أي: لُعِنَ الإنسانُ.

وقيل: هلك.

وهذا لجنس الإنسان المكذِّب؛ لكثرة تكذيبه وجحوده.

﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾: أي: ما أشد كفره وإعراضه!

ثم بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للإنسان أنه من أضعف المخلوقات حيث خلقه من ماء مهين، فقال ﷻ: ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾: أي: من أي شيء خلقه الله حتىٰ يتكبر ويتعاظم ويكفر بالله؟!

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾: أي: من نطفة حقيرة أمشاج قد اختلط ماء الرجل وماء

(١) تفسير الطبري، تفسير ابن كثير، تفسير البغوي، تفسير السعدي، أسباب النزول للواحدي.

المرأة واجتمعا في رحم المرأة كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢].

﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾: أي: بدأ نشأته من هذه النطفة، ثم قدَّر خلقه تقديرا محكما طورا بعد طور وحالا بعد حال.

كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥].

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾: أي: ثم يسره لسبيل الخير والشر وهداه لذلك.

قال مجاهد: هذه كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] أي: بَيَّنَّاه له وأوضحناه، وسهلنا عليه عمله.

وقيل: ثم يسَّر عليه خروجه من بطن أمه.

والأول أظهر.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾: أي: إنه بعد خلقه له وبعد ما قَدَّر له من عمر في هذه الحياة أماته، وجعل له قبرا يُوارَىٰ فيه إلىٰ أن يُبعث.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾: أي: ثم إذا شاء بعثه بعد موته للحساب والجزاء.

ومنه يُقال: البعث والنشور، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]

وقوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وفي البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وفي رواية لمسلم: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**».

وقوله: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾: أي: ليس الأمر كما يقول هذا الكافر؛ من أنه قد أدىٰ ما عليه لربه، فهو لم يُؤدِّ ما أوجب الله عليه من الفرائض.

ولا يقضي أحد أبدا كل ما افْتُرض عليه، وإنما يأت منها بقدر المستطاع.

وهذا الذي عليه جمهور المفسرين.

وقيل: لا يقع البعث والنشور حتىٰ تنقضي المدة ويأمر الله بذلك، واستظهر هذا الحافظ ابن كثير في تفسيره، وما ذهب إليه الجمهور أظهر، والله أعلم.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

ثم أرشد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإنسان إلىٰ النظر والتفكر في طعامه، وكيف وصل إليه ويسره الله له بعدما تكررت عليه طبقات عديدة؛

فقال تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾: أي: فلينظر الإنسان إلىٰ طعامه الذي يأكله كيف حصل عليه؟ ويتفكر كيف ساقه الله إليه؟!

وفي هذا امتنان من الله علىٰ عباده، واستدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة علىٰ إحياء الأجسام بعدما كانت عظامًا بالية وترابًا مبعثرًا.

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾: أي: أنزلناه من السماء علىٰ الأرض بقوة وغزارة.

كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤].

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾: أي: ثم فتقنا الأرض بالماء فأسكناه فيها فدخل في تخومها وتخلل في أجزاء الحب والبذور المودع فيها؛ فانشقت عن النبات.

﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾: أي: أصنافًا من الحبوب من القمح والشعير والذرة ونحو ذلك.

﴿وَعِنَبًا﴾: العنب المعروف بشتىٰ أنواعه من الأحمر والأبيض والأسود والحلو والحامض.

﴿وَقَضْبًا﴾: هو ما تأكله الدواب ويكون علفًا لها، ومنه القَتّ ونحو ذلك.

﴿وَزَيْتُونًا﴾: الشجرة المعروفة المباركة التي تؤكل ثمرتها، ويتخذ منها الأدم، ويستصبح بزيتها ويدهن به.

قال تعالىٰ: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

﴿وَنَخْلًا﴾: يُؤكل ثمره بَلَحًا بُسرًا، وَرُطَبًا، وتمرًا، ونيئًا، ومطبوخًا، وَيُعْتَصَر منه رُبٌّ وخَلّ، ويصنع من سعفه البسط؛ فقد جعل الله في هذه الشجرة عظيم النفع والبركة، ووفير الرزق لعباده.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ [ق: ١٠-١١].

وفي البخاري (١٣١)، ومسلم (٢٨١١) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ ورَقُهَا، وهي مَثَلُ المُسْلِمِ، حَدِّثُونِي ما هي؟ فَوَقَعَ النَّاسُ في شَجَرِ البَادِيَةِ، ووَقَعَ في نَفْسِي أنَّهَا النَّخْلَةُ**»، قَالَ عبدُ الله: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقالوا: يا رَسولَ الله، أخْبِرْنَا بهَا؟ فَقَالَ رَسولُ الله ﷺ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**».

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾: أي: بساتين فيها الأشجار الكثيرة الملتفة.

وقيل: (غُلْبًا) نخل غلاظٌ كرام.

وقيل: الحدائق الغناء المجتمعة.

وقيل: (غُلْبًا) الشجر الذي يُستظلّ به.

﴿وَفَٰكِهَةً﴾: هو كل ما يتفكه به من الثمار من التفاح والرمان والخوخ ونحو ذلك.

﴿وَأَبًّا﴾: ما تأكله البهائم والأنعام مما تنبت الأرض، ولهذا قال الله تعالىٰ:

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾: أي: لانتفاعكم وانتفاع بهائمكم التي خلقها الله وسخرها لكم.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

[عبس: ٣٣-٤٢].

ثمّ ذكر الله القيامة؛ فقال تعالىٰ:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾: أي: إذا جاء يوم القيامة، وسميت بالصاخة؛ لأنها تكون بصيحة تَصُخّ الأسماع؛ أي: تبالغُ في إسماعها حتىٰ تكاد تُصمّها.

﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾: أي: يراهم، ويفر منهم، ويبتعد عنهم، علىٰ الرغم من شدة محبته لهم في الدنيا؛ لأن الهول عظيم، والخطب جسيم.

ففي ذلك اليوم كل نفس مرهونة بعملها كما في قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

والكل يسعىٰ لخلاص نفسه يقول: نفسي نفسي حتىٰ الأنبياء كما في البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) في حديث الشفاعة الطويل وفيه أن الناس ينظرون من يشفع لهم عند الله؛ فيأتون إلىٰ آدم ثم إلىٰ نوح ثم إلىٰ إبراهيم ثم إلىٰ موسىٰ ثم إلىٰ عيسىٰ جميعهم يقول: (نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي).

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: أي: زوجته.

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾: أي: كل واحد منهم في شُغُل شاغل عن غيره، منشغل بنفسه يسعىٰ في خلاصها، وليس له التفات إلىٰ غيرها.

وفي البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**». قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «**الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ**».

وفي ذلك اليوم ينقسم الخلق إلىٰ فريقين: سعداء، وأشقياء؛ فأما السعداء فقال الله عنهم:

﴿وُجُوهٌ﴾: أي: وجوه المؤمنين السعداء.

﴿يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾: أي: مشرقة مُستنيرة، قد ظهر عليها السرور والبهجة.

﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾: أي: فرحة مسرورة من سرور قلوبهم، مستبشرة بوعد الله الذي بُشِّروا به كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، وهؤلاء أهل الجنة.

﴿وَوُجُوهٌ﴾: أي: وجوه الكافرين الأشقياء.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي: يوم القيامة.

﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: أي: سواد وظلمة وكآبة مما يشاهدونه من الهم والغم في ذلك اليوم.

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾: أي: يعلوها ويغشاها قَتَرَة؛ أي: سواد وظلمة وكسوف.

وقيل: ذِلَّة.

فوجوههم سوداء مظلمة مكفهرة ذليلة منكسرة قد أيست من كل خير، وتيقنت شقاءها وهلاكها.

قال ابن زيد: الفرق بين الغَبَرَة والقَتَرَة؛ أنَّ القَتَرَة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسَّماء، والغَبَرَة ما كان أسفل في الأرض.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾: أي: الذين تقدم وصفهم.

﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾: أي: الكفرة قلوبهم، الفجرة في أعمالهم الذين اقترفوا

كل فجور وتجرؤوا علىٰ حرمات الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

آخر تفسير سورة (عبس)، والحمد لله رب العالمين.

سورة التكوير

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ [التكوير: ١-٧].

سورة التكوير مكية، وعند أحمد (٤٨٠٦)، والترمذي (٣٣٣٣) من حديث عَبْدِاللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، وَأَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ: سُورَةَ هُودٍ**».

قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: أي: أن هذه الشمس يوم القيامة يُجمعُ بعضها إلىٰ بعض، ثم تُلفّ فيرمىٰ بها في النار؛ فإذا حصل لها ذلك ذهب ضوءها، وفي البخاري (٣٢٠٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «**الشَّمْسُ وَالقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

وتكوير الشمس والقمر في النار إنما هو لتعذيب أهل النار لا أنهما يعذبان فيها؛ إذ لاذنوب لهما، والله أعلم.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾: أي: انتثرت، وانطمس نورها، وتساقطت من أفلاكها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾: أي: وإذا الجبال الرواسي سيرت وزالت عن أماكنها، ونُسِفت وتناثرت كالعهن كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

وأما الأرض فتكون كما قال الله تعالىٰ: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦، ١٠٧].

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾: أي: إذا تركت عشار الإبل وعطلت وأهملها أهلها، وانشغلوا عنها وعن كفالتها والانتفاع بها، بعدما كانوا أرغب شيء فيها، بما دهمهم من الأمر العظيم، وهو أمر القيامة.

والعِشار من الإبل: هي: النوق الحوامل التي قد وصلت في حملها إلىٰ الشهر العاشر، واحدها عُشَراء، ولا يزال ذلك اسمها حتىٰ تضع، وهي خيار الإبل.

والمعنىٰ: أن الناس لهول ذلك اليوم يعطلون نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون لها؛ فنبه بالعشار؛ لأنها أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: أي: جُمِعَت ليوم القيامة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [ص: ١٩]؛ أي: مجموعة.

ثم يقتص الله من بعضها لبعض كما في مسلم (٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إلىٰ أهْلِها يَومَ القِيامَةِ، حتَّىٰ يُقادَ لِلشَّاةِ الجَلْحاءِ، مِنَ الشَّاةِ القَرْناءِ**».

ثم بعد ذلك تصير ترابًا.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾: ﴿سُجِّرَتْ﴾ أي: أُوقِدَتْ بالنار، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطُّوْر: ٦].

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: أي: جُمِعَ كل صنف إلىٰ نظيره، كقوله: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصَّافَّات: ٢٢].

أي: أمثالهم من الناس فيُجمعون إلىٰ نظائرهم، ويتمايزون، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧-١١]

وقيل: أي: زُوِّجت بالأبدان.

وقيل: زُوِّجَ المؤمنون بالحور العين، وزُوِّجَ الكافرون بالشياطين.

والتفسير الأول أظهر والله أعلم.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ [التكوير: ٨-١٤].

قوله ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾: هكذا قراءة الجمهور ﴿سُئِلَتْ﴾.

والموءودة هي البنت التي كانوا في الجاهلية الجهلاء يدفنونها حية من غير سبب إلا خشية الفقر والعار.

وسُمِّيَت بذلك لما يُطرح عليها من التراب فيؤدها، أي يُثقِلُها حتىٰ تموت.

فيوم القيامة تُسأل الموءودة لماذا قتلت؟!

تهديدا لقاتلها؛ فإذا سُئل المظلوم فكيف بالظالم؟!

وقرأ غير واحد ﴿سَأَلَتْ﴾: أي: طالبت بدمها.

﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾: أي: تُسأل الموءودة، فيُقال لها بأَيِّ ذنب قُتِلَتْ، ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب؛ ففي هذا توبيخ وتقريع لقاتليها.

وقد اختلف أهل العلم في الموءودة أفي الجنة أم في النار؟

والصحيح أنها في الجنة، ويدل علىٰ هذا حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البخاري (٧٠٤٧)، ومسلم (٢٢٧٥) وفيه أن النبي ﷺ رأىٰ إبراهيم ﷺ في الجنة وحوله الأطفال الذين ماتوا علىٰ الفطرة؛ فقال بعض المسلمين: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ**».

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾: أي: صحائف الأعمال تنشر يوم القيامة للحساب؛ فيعطىٰ كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله.

كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥].

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾: أي: تنكشط فتزول وتطوىٰ كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾: أي: أُحميت، وأوقدت، وأعدت للكافرين كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: أي: قربت للمتقين، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١].

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾: أي: كل نفس؛ لمجيئها في سياق الشرط، وهذا الجواب لقوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] ومابعدها؛ أي: إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأُحضر ذلك لها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

قال تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ١٥-٢١].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾: هي: النجوم تخنس بالنهار، وتظهر بالليل.

وقيل: النجوم حال طلوعها.

وقيل: غير ذلك.

﴿ٱلْجَوَارِ﴾: النجوم عند كونها سابحة في فلكها في السماء.

﴿ٱلْكُنَّسِ﴾: النجوم عند غيبوبتها، من قول العرب: أوىٰ الظبي إلىٰ كناسة: إذا تغيب فيه.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾: أقسم بالليل إذا عسعس؛ أي: إذا أدبر كما في قوله

تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ [المدثر: ٣٣، ٣٤]

وهذا الذي اختاره ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقيل: أقبل بظلامه.

فأقسم تعالىٰ بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١، ٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحىٰ: ١، ٢]، وقوله: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ [الأنعام: ٩٦].

وهذا الذي اختاره ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكل ذلك صحيح؛ لأن لفظة «عَسْعَسَ» تُسْتعمل في الإقبال والإدبار علىٰ وجه الاشتراك؛ فعلىٰ هذا يصح أن يراد كل منهما، والله أعلم.

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: أي: إذا طلع؛ وذلك أنه ينشق النور شيئًا فشيئًا حتىٰ يستكمل وتطلع الشمس.

﴿إِنَّهُۥ﴾: أي: القرآن، وهو المقسم عليه.

﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾: أي: لَتبليغ رسول كريم، وهو جبريل ﷺ نزل به من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

ووصفه الله بالكريم لكرم أخلاقه، وكثرة خصاله الحميدة؛ فإنه أفضل الملائكة، وأعظمهم رتبة عند ربه.

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾: أي: من أوصافه أنه ذو قوة وبأس، كما في قَوْلِهِ تعالىٰ:

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٥، ٦]؛ أي: ذو قوة وشدة.

ومن قوته أنه قلب ديار قوم لوط بهم؛ فأهلكهم.

﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾: أي: له مكانة عند الله ﷻ ومنزلة رفيعة، فهو مقدم علىٰ جميع الملائكة.

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾: أي: مسموع القول مطاع في الملأ الأعلىٰ، له وجاهة، ومكانة، وانْتُخب لهذه الرسالة العظيمة.

﴿أَمِينٍ﴾: أي: ذو أمانة وقيام بما أمره الله به.

وهذا ثناء عظيم من الله سبحانه لجبريل ﷺ.

وهذا كله يدل علىٰ شرف القرآن وعظم منزلته عند الله تعالىٰ؛ فإنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك الصفات الكاملة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾

[التكوير: ٢٢-٢٩].

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾: أي: محمد ﷺ.

﴿بِمَجْنُونٍ﴾: كما يزعم أعداؤه المكذبون بما جاء به، وهذا هو زعم الكفار لأنبيائهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣]

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾: أي: ولقد رأىٰ محمدٌ ﷺ جبريل ﷺ علىٰ الصورة التي خلقه

الله عليها.

﴿بِٱلْأُفُقِ﴾: أي: سادًّا الأفق.

﴿ٱلْمُبِينِ﴾: أي: الْبَيِّنُ الواضح، فرآه واضحًا بيِّنا بصفته الحقيقية له ستمائة جناح، وهذه هي الرؤية الأولىٰ التي كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٥-١٠].

والظاهر أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولىٰ، وقد رآه مرة أخرىٰ ليلة الإسراء وهي المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النَّجْم: ١٣ -١٦].

وهذا يدل علىٰ أن سورة التكوير نزلت قبل سورة النجم، والله أعلم.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾: أي: وما محمد علىٰ الوحي.

﴿بِضَنِينٍ﴾: أي: ببخيل، فما بخل وضَنّ بالوحي علىٰ الناس، بل بلغه ونشره وبذله لكل من أراده.

وقرئ بـ (بِظَنِينٍ): أي: متهم، والمعنىٰ: ماهو علىٰ ما أوحاه الله بمتهم يزيد فيه أو ينقص أو يكتم بعضه، بل هو أمين أهل السماء وأهل الأرض.

واختار ابن جرير قراءة الضاد.

وكلاهما متواتر ومعناه صحيح، والله أعلم.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: أي: وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم مطرود، لايقدر علىٰ حمله ولا ينبغي له، كما في قوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢].

وأنَّىٰ لهم أن يأتوا بمثله قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾: أي: فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه، وأين تعدلون عنه، وفيه شفاء وبيان.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: إن هذا القرآن ذكرىٰ لجميع الناس، يتذكرون به مصالح الدين والدنيا، ويتعظون به، وينالون بالعمل به سعادة الدارين.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾: أي: لمن أراد الهداية والاستقامة علىٰ دين الله.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: أي: ليست مشيئة التوفيق موكولة إليكم، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فمشيئته نافذة لاتُعارض ولا تُمانع.

وفي هذه الآية وأمثالها؛ ردٌّ علىٰ فرقتي القدرية النفاة، والقدرية المجبرة.

﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: ربّ الخلائق كلها، وكل ماسوىٰ الله عالم.

تم تفسير سورة (التكوير) والحمدلله علىٰ توفيقه.

سورة الانفطار

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾

[الانفطار: ١-٨].

قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾: أي: تشققت وتصدعت؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨].

ويكون ذلك لنزول الملائكة منها يوم القيامة.

﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾: أي: تساقطت متناثرة.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾: فَجَّرَ الله بعضها في بعض، فذهب ماؤها بسبب ما سعرت بها من النيران.

وقيل: اختلط بعضها ببعض حتىٰ اختلط مالحها بعذبها.

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾: أي: قُلِب ترابها ليخرج ما فيها من الأموات كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩].

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾: أي: إذا بُعثرت القبور وخرج من فيها عندها تعلم كل نفس ما قدمت من عمل سواء كان خيرًا أو شرًّا، وما أخرت منه

فلم تعمله.

كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ﴾: أي: يا ابن آدم ما الذي غرك وجعلك تخالف أمر ربك.

وجاء عند النسائي في الكبرىٰ (١١٨٤٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ بَدَأَ بِالْيَمِينِ قَبْلَ الْحَدِيثِ، فَقَالَ: «**وَاللهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَخْلُو بِرَبِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا غَرَّكَ بِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ، مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ يَا ابْنَ آدَمَ، مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ؟**»، والأثر صحيح موقوف علىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿بِرَبِّكَ﴾: أي: بخالقك، ورازقك، ومدبر أمرك.

﴿ٱلْكَرِيمِ﴾: أي: العظيم، وهذا تهديد، لا كما يتوهمه البعض من أنه إرشاد إلىٰ الجواب؛ حيث قال: ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ حتىٰ يقول قائلهم: غَرَّهُ كَرَمُه.

بل المعنىٰ في هذه الآية: ما غرَّك يا ابن آدم بربك العظيم حتىٰ أقدمت علىٰ معصيته، وقابلته بما لا يليق؟

وقيل: إنما أتىٰ باسمه ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾؛ لِيُنَبِّهَ علىٰ أنه لا ينبغي أن يُقابَل الكريم بالأفعال القبيحة، وأعمال السوء.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾: أي: الذي خلقك من العدم، وجعلك سويا معتدل القامة منتصبها، في أحسن الهيئات والأشكال.

كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وجاء عند أَحمد في المسند (١٧٨٤٢) عَنْ بُسْرِ بْنِ جَحَّاشٍ الْقُرَشِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَزَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ، فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبُعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**يقولُ اللهُ تعالىٰ: يا ابن آدمَ! أنّىٰ تُعجزنِي وقد خلقتكَ من مثلِ هذهِ، حتّىٰ إذا سويتُكَ وعدّلتكَ مشيتَ بين بُردَينِ وللأرضِ منك وَئِيدٌ، فجمعتَ ومنعتَ، حتىٰ إذا بلغتْ نفسكَ هذهِ** -وأشار إلىٰ حلقِهِ- وفي رواية: **حتىٰ إذا بلغتِ التراقِيَ قلت: أتصدّقُ، وأنّىٰ أوانُ التصدّقِ؟!**».

والحديث إسناده حسن، وهو في السلسلة الصحيحة للعلّامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٠٩٩).

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾: أي: في أي هيئة إذا شاء جعلك؛ طويلًا أو قصيرًا، أبيضَ أو أسودَ، ذكرًا أو أنثىٰ.

وقيل: في أي شَبَه أب أو أم أو خال أو عم.

وقيل: قد أنعم الله عليك إذ لم يجعلك علىٰ صورة قرد أو كلب أو حمار أو نحو ذلك من الحيوانات المُنْكَرة الخَلق، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه خلقك علىٰ شكل حسن مستقيم معتدل تام، حسن المنظر والهيئة.

قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ٩-١٩].

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾: أي: حقًّا أيها المشركون المكذبون إن الذي يحملكم علىٰ الاغترار والتمادي، ومواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي؛ تكذيب في قلوبكم بيوم القيامة يوم الجزاء والحساب.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾: يعني: وإنّ عليكم لملائكة حفظة يتعاقبون عليكم بالليل والنهار يحفظونكم من بين أيديكم ومن خلفكم، يحفظونكم من أمر الله كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

ويحفظون أعمالكم كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾: أي: كرامًا عند الله، كاتبين يكتبون عليكم جميع أعمالكم.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾: أي: يعلمون أفعالكم فيكتبونها.

فاللائق بكم أن تكرموهم ولا تقابلوهم بالقبائح.

ثم أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن حال الناس في الآخرة فقال:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: أي: إنَّ المؤمنين الموحدين كثيري فعل الخير والطاعة؛ لفي نعيم دائم يوم القيامة، يتنعمون في الجنة بشتىٰ أنواع النعيم كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾: أي: وإنَّ الكفار أصحاب الفجور؛ لفي نار تسعَّر عليهم يوم القيامة وعذاب مقيم.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: أي: يدخلونها يوم القيامة يوم الحساب والجزاء يعانون حرَّها وعذابها كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١]، وقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]، وقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ١٩-٢٢].

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾: أي: لا يغيبون عن النار ساعة واحدة، ولا يُخفَّف عنهم من عذابها، ولا يُجَابُون إلىٰ ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يومًا واحدًا؛ بل هم في العذاب خالدون.

ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ معظمًا لشأن يوم القيامة:

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: تعظيم لشأن يوم القيامة، وما فيه من الجزاء والحساب والأهوال.

ثم أكَّده بقوله:

﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: توكيدًا وتهويلًا لذلك اليوم الشديد الذي يحير الأذهان.

ثم فسَّره بقوله:

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ﴾: أي: لا يقدر أحد أن ينفع أحدا ولا أن

يخلصه مما هو فيه ولو كان أقرب قريب، إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضىٰ.

وفي مسلم (٢٠٤) من حديث أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَافَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا».

﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾: أي: والأمر يومئذ لله وحده يتصرف بما يشاء، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ولا ينازعه في ذلك أحد.

كقوله تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤].

وكقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وكقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦].

وكقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

آخر تفسير سورة (الانفطار)، والحمد لله علىٰ توفيقه.

سورة المطففين

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ١-٦].

سورة المطففين مكية في قول جماعة من المفسرين واحتجوا بذكر الأساطير، وأن تطفيف الكيل والوزن كان بمكة.

وذهب جماعة إلىٰ أنها مدنية ونص علىٰ هذا الحافظ ابن كثير في تفسيره، واستدلوا بحديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند ابن ماجه (٢٢٢٣)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٥٩٠) قال: (لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيْلًا، فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ)، والحديث صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح ابن ماجه (١٨٢٢).

وذهب آخرون إلىٰ أنه نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف بالمدينة؛ لأنهم كانوا أشد الناس فسادًا في ذلك فأصلحهم الله تعالىٰ بهذه السورة.

وقال آخرون: نزلت بين مكة والمدينة، وذلك ليصلح أمرهم قبل ورود رسوله عليهم.

قلت: والأظهر أنها مكية؛ لدلالة الآيات، إلا آي التطفيف فمدنية؛ لدلالة حديث ابن عباس المتقدم، ولأنهم كانوا أشد الناس فسادًا في هذا، والله أعلم.

قوله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ﴾: كلمة للوعيد والهلاك.

﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس.

قال الزَّجَّاج: إنما قيل للذي ينقص المكيال والميزان: مُطَفِّفٌ؛ لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء اليسير الطفيف.

والمراد بالتطفيف هاهنا:

البخس في المكيال والميزان، إما بالازدياد إن اقتضىٰ من الناس، وإما بالنقصان إن قضاهم.

ولهذا فسر تعالىٰ المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك بقوله:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: أي: من الناس.

﴿يَسْتَوْفُونَ﴾: أي: يأخذون حقهم بالوافي والزائد.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾: أي: إذا أعطوا الناس حقهم، الذي للناس عليهم بكيل أو وزن؛ ينقصونهم ذلك، إما بمكيال وميزان ناقصين، أو بعدم ملء المكيال والميزان، أو نحو ذلك.

وقد أمر الله تعالىٰ بالوفاء في الكيل والميزان، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥].

وقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩].

وأهلك الله قوم شُعَيب ودمرهم علىٰ ما كانوا يبخسون الناس في المكيال والميزان.

وإذا كان هذا الوعيد علىٰ الذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان، فالذين يأخذون أموالهم قهرًا أو سرقة، أولىٰ بهذا الوعيد.

ودلت الآية الكريمة علىٰ أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والحقوق والمعاملات.

ثم قال تعالىٰ متوعدًا لهم:

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: أي: ألا يتيقن هؤلاء الذين يطففون المكيال والميزان.

﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾: أي: محشورون إلىٰ الله، قائمون بين يدي من يعلم السرائر والضمائر.

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أي: في يوم عظيم الهول، كثير الفزع، جليل الخطب، من خسر فيه أُدخِل نارًا حامية.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: ومن عظمته أن الناس يقومون لرب العالمين حفاة عراة غُرلًا في موقف صعب حرج ضَيِّق ضنك علىٰ المجرم، ويغشاهم من أمر الله ما تعجز القوىٰ والحواس عنه.

ففي البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢) عن عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] «**حَتَّىٰ يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَىٰ أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**».

وفي مسلم (٢٨٦٤) عن الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُدْنَىٰ الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**»،

-قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ- قَالَ: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**».

قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَىٰ فِيهِ.

قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [المطففين: ٧-١٣].

﴿كَلَّآ﴾: أي: حقًّا.

﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾: أي: أن الله ﷻ قد كتب أن الفجار؛ أي: الكفار مصيرهم ومأواهم في سِجِّينٍ.

كما في مسند أحمد من حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ الطَّوِيلِ وفيه: يَقُولُ الله ﷻ فِي رُوحِ الْكَافِرِ: «**اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ**».

و﴿سِجِّينٍ﴾: أسفل النار كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٥، ٦]، وهو مأخوذ من السَّجن، وهو الضِّيق، فهو سجن للكفار؛ فجمع بين السفول والضيق، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣].

ولهذا عظم الله أمره فقال:

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾: أي: هو أمر عظيم، وسجن مُقيم وعذاب أليم.

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾: ليس تفسيرًا لقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾، وإنما هو تفسير لما

كُتِبَ لهم من المصير إلىٰ سجِّين.

أي: أن هذا السجّين مرقوم مكتوب مفروغ منه، لا يُزادُ فيه أَحدٌ ولا يُنْقَصُ منه أَحدٌ، وليس معناه أن سجّين هو الكتاب المرقوم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: إخبار بما يلحق الكفار يوم القيامة من السَّجن والنكال والعذاب الأليم.

والمراد بـ﴿وَيْلٌ﴾: الهلاك والدمار، كما تقدم.

ثم قال تعالىٰ مفسرًا للمكذبين الفجار:

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: أي: يكذبون بيوم البعث والنشور ولا يُصَدِّقُون بوُقوعه، بل يزعمون أنه لاحياة بعد الموت.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ﴾: أي: بيوم الدين.

﴿إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾: أي: متعد لحدود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿أَثِيمٍ﴾: في قوله وفعله من الإثم الذي يتعاطاه ومن أعظم ذلك الشرك والتكذيب بيوم البعث وغير ذلك من الآثام.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: إذا سمع كلام الله من الرسول، يُكَذِّب به، ويعتقد أنه مُفْتَعَلٌ مجموع من الكتب المسطورة عن الأمم السابقة كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]، وقال: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].

قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: ١٤-١٧].

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: أي: ليس الأمر كما زعم هؤلاء المكذبون ولا كما قالوا إن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله الذي أنزله علىٰ رسوله ﷺ، وإنما ران علىٰ قلوبهم وغطّاها ما كانوا يكسبون من المعاصي، فلم يبصروا الحق.

وفي سنن الترمذي (٣٣٣٤) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ**: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾: أي: حقًّا إن المكذبين الذين تقدم وصفهم يوم القيامة لمحجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم فلايرونه الرؤية الخاصة.

ودل مفهوم هذه الآية علىٰ أن المؤمنين يرون ربهم ﷻ يوم القيامة، كما دل علىٰ ذلك منطوق قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [الْقِيَامَةِ: ٢٢، ٢٣]. وكما دلت علىٰ ذلك أيضًا الأحاديث الصحيحة المتواترة في رؤية المؤمنين لربهم ﷻ في الدار الآخرة، رؤية حقيقية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي الجنة.

والحجب هنا المراد به الحجب عن الرؤية الخاصة التي تكون للمؤمنين في الجنة، أما الرؤية العامة في عرصات القيامة فهي للناس كافة؛ فكل من في الموقف يرىٰ الله ﷻ، ثم يحجب عن الكفار، ودليل ذلك ماجاء في البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ**

تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَىٰ الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ النَّارِ، كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَىٰ النَّصَارَىٰ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا. قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَىٰ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي أَدْنَىٰ صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا. مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ

الشَّفَاعَةُ..» الحديث.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾: أي: ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية ربهم، وما يجدونه في يوم الحشر من الخزي والعار هم داخلون النار يعانون حرّها وعذابها -عافانا الله منها-.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: أي: يقال لهم ذلك علىٰ وجه التقريع والتوبيخ، والتبكيت والتحقير كما في قوله تعالىٰ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان: ٤٩-٥٠].

أي: هذا العذاب الذي تجدونه هو ما كنتم به تكذبون في الدنيا عندما يخبركم به رسولكم.

قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ١٨-٢٣].

قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾: أي: حقًّا إنَّ كتاب الأبرار وهم بخلاف الفُجَّار لفي علِّيِّين؛ أي: مكتوب في اللوح المحفوظ أن مصيرهم إلىٰ علِّيِّين.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾: تعظيمًا وتفخيمًا لشأنه، وفي حديث البراء عند أحمد: «**اكتبوا كتاب عبدي في عليين**» أي: في السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين، وهكذا قال غير واحد: إنها السماء السابعة.

وقيل: هي الجنة، ولا تعارض بين القولين؛ فإن الجنة أشرف ما فيها.

﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾: أي: مكتوب.

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: وهُم الملائكة؛ فيطلعون عليه.

وقيل: يشهده من كل سماء مُقَرَّبوها.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾: أي: إن المؤمنين يوم القيامة في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عظيم.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: أي: علىٰ السُّرُر.

﴿يَنظُرُونَ﴾: أي: ينظرون إلىٰ ربهم يوم القيامة، وهذا مقابل لما وُصِفَ به أولئك الفجار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؛ فذكر عن هؤلاء أنهم ينظرون إلىٰ الله ﷻ وهم علىٰ سررهم وفرشهم.

وقيل: معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يَبيد.

والأول أظهر، والله أعلم.

قال الله تعالىٰ: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٤-٢٨].

قوله تعالىٰ: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ﴾: أي إذا نظرت إلىٰ وجوه المؤمنين تعرف في وجوههم ﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: صفة التَّرافة والسرور والدِّعَة مما هم فيه من النعيم العظيم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢].

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾: الرحيق من أسماء الخمر؛ أي: يسقون من خمر من الجنة.

﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ﴾: أي: مختوم بالمسك.

وقيل: خلطه مسك.

وقيل: عاقبته مسك.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾: أي وفي مثل هذا النعيم العظيم فليتسابق المتسابقون بامتثال أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كقوله تعالىٰ: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾: أي: ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم، قيل: هو شراب ينصبُّ عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم.

وقيل: يجري في الهواء متسنِّمًا فينصب في أواني أهل الجنة علىٰ قدر ملئها فإذا امتلأت أمسك.

وقيل: شراب يقال له تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه، وهو المراد بقوله تعالىٰ:

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: فيكون من تفسير القرآن بالقرآن -وهو الأظهر-؛ أي: يشرب منها المقربون، وجاء عن ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم: يشربها المقربون صِرْفًا وتمزج لأصحاب اليمين مزجًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٢٩-٣٦].

بعد أن أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بحال المؤمنين وما أعد لهم من النعيم أخبر

عن حال المجرمين فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾: أي: إن الذين كفروا كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين؛ أي: يستهزئون بهم ويحتقرونهم.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَىٰ سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ، فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَىٰ الْقَوْمِ، فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَىٰ بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّىٰ انْطَلَقَ إِنْسَانٌ، فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَىٰ النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**». -وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ-، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّىٰ صَرْعَىٰ يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَىٰ الْقَلِيبِ -قَلِيبِ بَدْرٍ-. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: (الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ غَلَطٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ).

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ﴾: أي: وإذا مر الكفار بالمؤمنين؛ ينظر بعضهم إلىٰ بعض يتغامزون عليهم احتقارًا وازدراءً لهم.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ﴾: أي: إذا انقلب أي رجع هؤلاء المجرمون إلىٰ

منازلهم في الدنيا.

﴿ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾: أي: انقلبوا إليها فاكهين مسرورين بسبب إهانتهم للمؤمنين وسخريتهم منهم، ولأنهم مهما طلبوا وجدوا، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالمؤمنين يحقرونهم ويستهزئون بهم.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾: أي وإذا رأوا المؤمنين في الدنيا.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾: أي لكونهم علىٰ غير دينهم، فقلبوا الحقائق كما قال فرعون: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾: أي: وما أُرسل هؤلاء المجرمون حافظين علىٰ هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كُلِّفُوا بهم؛ فَلِمَ اشتغلوا بهم وجعلوهم نُصْبَ أعينهم؟ كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٨-١١١].

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾: أي: يوم القيامة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾: أي في مقابلة ما ضحك بهم أولئك، جزاء وفاقا.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: أي: وضحك المؤمنين يكون حال جلوسهم علىٰ الأرائك.

والأرائك: هي السرر المرتفعة تكون تحت الخمائل.

﴿يَنظُرُونَ﴾: أي: ينظرون إلىٰ الله ﷻ، وينظرون إلىٰ نعيمهم الذي أنعم الله

عليهم به في الجنة.

﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ﴾: أي: هل جُوزِيَ الكفار.

﴿مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾: أي: علىٰ ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا؟

والجواب: نعم قد جوزوا علىٰ ذلك سُوء الجزاء يوم القيامة.

آخر تفسير سورة المطففين، والحمدلله.

سورة الانشقاق

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [الانشقاق: ١-٦].

سورة الانشقاق مكية.

ومما ورد في هذه السورة:

ما جاء عند أحمد (٤٨٠٦)، والترمذي (٣٣٣٣) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن سرَّهُ أن ينظرَ إلىٰ يومِ القيامةِ كأنَّهُ رأيُ عَينٍ فليقرأ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انفطَرَتْ، وإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ**».

وجاء عند البخاري (٧٦٦)، ومسلم (٥٧٨) من حديث أَبِي رَافِعٍ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ فَقَرَأَ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾. فَسَجَدَ فَقُلْتُ لَهُ: قَالَ: سَجَدْتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ ﷺ، فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّىٰ أَلْقَاهُ.

ولمسلم: سَجَدْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، وَ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾.

يقول تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾: أي: تشققت وتصدعت، وذلك يوم القيامة.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾: أي: استمعت لربها منقادة وأطاعت أمره فيما أمرها به من

الانشقاق.

﴿وَحُقَّتْ﴾: أي وحُقَّ لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذي لا يُعصىٰ أمره، ولا يُخالَف حكمه، ولا يعجزه شيء.

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾: أي: مدَّها الله كما يُمدّ الأديم؛ فسُوِّيَت وبُسِطَت ووُسِّعَت حتىٰ يُحشر الناس عليها، فصارت كما قال الله تعالىٰ: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦، ١٠٧].

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾: أي: ألقت ما في بطنها من الأموات، والكنوز، وتخلت منهم كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾: استمعت لكلام ربها وانقادت لأمره.

﴿وَحُقَّتْ﴾: وحُقَّ لها ذلك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾: أي إنك سَاعٍ إلىٰ ربك، وعامل بأوامره ونواهيه.

﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾: ثم إنك يوم القيامة ستلقىٰ ما عملت من خير أو شر، وجاء عند أبي داود الطيالسي في مسنده (١٧٥٥) عن جابر رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ جِبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَحِبَّ مَن شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُلَاقِيهِ**». والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨) عن سهل رضي الله عنه، وأبو نعيم (٣/ ٢٠٢) عن علي رضي الله عنه، وهو حديث حسن بمجموع طرقه، وانظر الصحيحة (٨٣١).

وقيل: بعود الضمير في قوله: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ علىٰ قوله: ﴿رَبِّكَ﴾؛ أي: فمُلَاقٍ ربك، ومعناه: فيجازيك بعملك.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾

[الانشقاق: ٧-١٥].

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾: وهم المؤمنون.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾: أي: سهلًا بلا تعسير، وهو العرض اليسير علىٰ الله؛ فيقرره الله بذنوبه ولا يحقق عليه جميع دقائقها؛ فإن من حوسب كذلك يهلك لا محالة.

ففي البخاري (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عُذِّبَ**» فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ فَقَالَ: «**لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ**».

وفي مسند أحمد (٢٤٢١٥) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «**أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ هَلَكَ، وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ، يُكَفِّرُ اللهُ ﷻ بِهِ عَنْهُ، حَتَّىٰ الشَّوْكَةُ تَشُوكُهُ**».

وفي البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ،**

فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]».

وفي مسلم (١٩٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ. فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَاهُنَا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

فالمؤمن تُعرض عليه أعماله ويقرره الله بذنوبه حتىٰ إذا ظن أنه هلك يقول له الله: «**إني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم**».

أما الحساب وهو النقاش فإنما يُناقَش الحساب الكفار والمنافقون كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا﴾: أي: ويرجع إلىٰ أهله في الجنة بعد العرض فرحًا مسرورًا بما أكرمه الله وأنعم عليه.

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾: أي: الكافر يؤتىٰ كتابه بشماله من وراء ظهره كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَـٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٥].

﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورًا﴾: أي: يدعو علىٰ نفسه بالويل والثبور وهو الخسار والهلاك، والحال كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا

﴿كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤].

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾: أي يُلقىٰ في نار جهنم تحيط به من كل جانب.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾: أي: فرحًا لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، قد أمن مكر الله في الدنيا؛ فأعقبه ذلك الخوف والحزن في الآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلىٰ الله ولا يعيده بعد موته، وكان يستبعد الرجوع كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠].

﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ﴾: يعني: بلىٰ سيعيده الله كما بدأه، ويجازيه علىٰ أعماله خيرها وشرها.

﴿كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾: أي: عليمًا خبيرًا مطلعًا علىٰ جميع أعماله، وأيضًا وكل ملائكة يكتبون ذلك كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

قال تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الانشقاق: ١٦-٢٥].

قال تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾: أي أقسم بالشفق.

والشفق: الحُمْرة من غروب الشمس إلىٰ وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب الشفق.

وفي مسلم (٦١٢) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَقْتُ صَلاةِ الْمَغْرِبِ مَا لَمْ يَغِبِ الشَّفَقُ**».

وقيل: البياض.

وقيل: الشفق اسم للحمرة والبياض.

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾: أي: وأقسم بالليل وما جمع.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: أقسم الله بالنهار مدبرًا، وبالليل مقبلًا.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: أي: وأقسم بالقمر إذا اكتمل نوره وأبدر.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾: أي: حالًا بعد حال.

جاء في البخاري (٤٩٤٠) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، قَالَ هَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ.

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: أي: ما الذي يمنع الكفار من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر؟!

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩﴾: أي: وما لهم إذا قرأت عليهم القرآن لا يسجدون تعظيمًا لله؟!

مع عظم ما في القرآن من المواعظ والرقائق التي تتصدع لها الجبال كما قال تعالىٰ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهُ ﷺ: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ، فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ**»، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: «**يَا وَيْلِي، أُمِرَ ابْنُ**

آدَمَ بِالسُّجُودِ، فَسَجَدَ، فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ، فَأَبَيْتُ، فَلِي النَّارُ». رواه مسلم (٨١).

وعَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: (صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ فَقَرَأَ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾. فَسَجَدَ فَقُلْتُ لَهُ: قَالَ: سَجَدْتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ ﷺ، فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّىٰ أَلْقَاهُ). رواه البخاري (٧٦٦)، ومسلم (٥٧٨).

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾: أي: والسبب الذي جعلهم لايؤمنون وإذا قرئ القرآن لايسجدون أن من سجِيَّتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: أي: والله مطلِّع علىٰ مايكتمون في صدورهم.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: فأخبِرهم يا محمد بأن الله ﷻ قد أعد لهم عذابًا أليمًا.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: هذا استثناء منقطع، يعني لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات والتزموا شرع الله ظاهرا وباطنا.

﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾: أي: لهم جزاء في الدار الآخرة.

﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي: غير منقوص ولامقطوع كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]

وقال تعالىٰ: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

آخر تفسير سورة (الانشقاق)، والحمد لله رب العالمين.

سورة البروج

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ [البروج: ١-٩].

سورة البروج مكية، ومما جاء فيها؛ ما أخرجه أحمد (٢١٠١٨)، وأبوداود (٨٠٥) وغيرهما عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِـ(السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) وَ(السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) وَنَحْوِهِمَا مِنَ السُّوَرِ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾: أقسم الله بالسماء.

﴿ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾: أي ذات المنازل والنجوم السَّيَّارة.

وقيل: النجوم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفُرْقَانِ: ٦١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

وقيل: منازل الشمس والقمر، واختاره ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقيل: البروج التي فيها الحرس.

وقيل: قصور في السماء.

وقيل: غير ذلك.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾: وأقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ باليوم الموعود، وهو يوم القيامة، وهو آت لامحالة.

﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة.

وقد جاء عند الترمذي (٣٣٣٩)، والطبراني في المعجم الأوسط (١٠٨٧) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اليومُ المَوعُودُ يومُ القيامةِ، واليومُ المشهودُ يومُ عرفةَ، والشاهدُ يومُ الجُمُعةِ**»، والحديث إسناده ضعيف إلا أن له شواهد يتقوىٰ بها وانظر الصحيحة (١٥٠٢) وصحيح الجامع (٨٢٠١) للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقيل: الشاهد هو محمد ﷺ لقوله تعالىٰ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾ [النِّسَاءِ: ٤١]، والمشهود يوم القيامة لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هُودٍ: ١٠٣].

وقيل: الشاهد: هو الله، لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ٧٩]، والمشهود: خلقه.

وقيل: غير ذلك.

والذي عليه أكثر المفسرين أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة.

وهو لفظ عام يشمل كل شاهد ومشهود، والله أعلىٰ وأعلم.

﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾: أي: لُعِن أصحاب الأخدود، وأُهلِكوا.

وهم قوم من الكفار عمدوا إلىٰ حفر الأخاديد في الأرض وأضرموا فيها

النيران؛ لإحراق عباد الله المؤمنين، حيث أرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم؛ فقذفوهم فيها.

وقد اختُلِف في المؤمنين الذي خُدَّت لهم الأخاديد

فقيل: هم قوم من فارس أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم؛ فامتنع عليه علماؤهم، فعمد إلىٰ حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم.

وقيل: إنهم كانوا قوما باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم، فغلب مؤمنوهم علىٰ كفارهم، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين، فخدّوا لهم الأخاديد، وأحرقوهم فيها.

وقيل: إنهم كانوا قومًا من أهل الحبشة.

وقيل: غير ذلك.

وفي صحيح مسلم (٣٠٠٥) عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَىٰ السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَىٰ السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَىٰ الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَىٰ عَلَىٰ دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّىٰ يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَىٰ النَّاسُ، فَأَتَىٰ الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ

مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَىٰ، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَىٰ الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَىٰ الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَىٰ الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَىٰ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَىٰ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّىٰ تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي

صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّىٰ جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَىٰ الْحَقِّ».

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾: أي: النار الملتهبة المتقدة التي أضرموها لقذف المؤمنين فيها أحياء، وهذا من أشدِّ الظلم والبغي.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾: أي: إذ الكفار قعود عليها يقذفون المؤمنين فيها، وينظرون إليهم وهم يُعَذَّبون.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾: أي: مشاهدون لما يُفعل بأولئك المؤمنين، ومُطَّلِعون علىٰ ذلك.

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: أي: وما نقموا من المؤمنين، وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله.

﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾: العزيز: ذو العزة والمنعة الذي لا يضام من لاذ بجنابه.

الحميد: المتصف بالمحامد والمكارم في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: الله العزيز الحميد المالك للسموات والأرض وما فيهما وما بينهما.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾: أي: والله مُطَّلِع علىٰ كل شيء، لا يغيب عنه شيء في السموات والأرض، ولا تخفىٰ عليه خافية، ولكنه سبحانه يملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ١٠-٢٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: بتعذيبهم بالحرق، ومحاولة ردهم عن دينهم.

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾: أي: لم يُقلِعُوا عما فعلوا، ويندموا علىٰ ذلك.

وقد قيل هذه أرجىٰ آية في كتاب الله، قال الحسن البصري: انظروا إلىٰ هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلىٰ التوبة والمغفرة.

﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾: ذلك أن الجزاء من جنس العمل، فكما عذبوا المؤمنين وأحرقوهم بالنار؛ سيُعذبون ويُحرقون بنار أشد منها، وفي صحيح البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

قَالَ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**». قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا**».

ولما ذكر عقوبة الظالمين، ذكر ثواب المؤمنين فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أي: إن الذين آمنوا بقلوبهم وانقادوا بجوارحهم، والتزموا بالأعمال الصالحة.

﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أي: أعدَّ الله لهم جنات تجري من تحتها أنهار الماء، وأنهار اللبن، وأنهار الخمر، وأنهار العسل بخلاف ما أعدَّ لأعدائه من الحريق والجحيم؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾: أي: الفوز العظيم الذي مابعده فوز، فإن أعظم فوز هو الفوز بالجنة والنجاة من النار؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١].

ثم قال الله ﷻ متوعدا للكافرين:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾: أي: إن بطش الله وعقوبته وانتقامه من أعدائه الذين كذَّبوا رسله وخالفوا أمره وحاربوا أولياءه؛ لَشديدٌ عظيمٌ قويٌّ؛ فإنه تعالىٰ ذو القوة المتين، وهو للظالمين بالمرصاد، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾: أي: من قوته وقدرته التامة أنه يُبدئ الخلق ثم يُعيده كما بدأه، بلا ممانع ولا مدافع، ولا مشارك له في ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾: أي: الذي يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب وأناب.

﴿ٱلْوَدُودُ﴾: أي: وهو الودود الذي يحبه أولياؤه ويحبهم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: أي: صاحبُ العرش.

﴿ٱلْمَجِيدُ﴾: قُرِئ بالرفع علىٰ أنه صفة للرب ﷻ، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها، فهو الواسع المُعظَّم المُمجَّد.

وقُرِئ بالجر علىٰ أنه صفة للعرش؛ أي: العرش العظيم الواسع.

وكلاهما معنًىٰ صحيح.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: أي: أن الله يفعل ما يشاء لا شيء يعجزه، ولا مُعَقِّب لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل، إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وقوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾: أي: هل بلغك يا محمد خبر جنود الكفر الذين عتوا عن أمر الله وكذَّبوا رسله وتمرَّدوا علىٰ شرعه، كيف أهلكهم الله، وأنزل عليهم من النقمة التي لم يرُدَّها عنهم أحد؟

وذَكَر (فرعون): الذي تجبَّر وتكبَّر، حتىٰ وصل به الأمر أن زعم أنه الرَّبّ كما قال الله عنه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، فأغرقه الله، ثم أظهر بدنه للناس وهو هالك؛ ليكون لهم آية وعبرة كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: ٩٢].

و(ثمود): قوم صالح الذين عتوا عن أمر ربهم وعقروا الناقة؛ فأهلكهم الله ودمرهم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٤].

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾: أي: أن الذين كفروا مهما تأتهم من الآيات لايزالون مستمرين في شكهم وتكذيبهم وكفرهم وعنادهم لاتنفع فيهم الآيات ولا تجدي لديهم العظات.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾: أي: قد أحاط بهم علما وقدرة، فهو عالم بهم قادر علىٰ إهلاكهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾: أي: عظيم كريم واسع في معانيه وأحكامه ومواعظه وعلومه.

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾: قُرِئ ﴿مَّحْفُوظٌ﴾ بالرفع علىٰ أنه صفة للقرآن؛ أي: أن القرآن محفوظ من التغيير والتحريف، والزيادة والنقص، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقرئ ﴿مَّحْفُوظٍ﴾ بالجر علىٰ أنه صفة للوح، أي اللوح المحفوظ الذي

قد أثبت الله فيه كل شيء، وهو محفوظ من الشياطين، ومحفوظ من التحريف والزيادة والنقص.

وهذا يدل علىٰ جلالة القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالىٰ، والله أعلم.

آخر تفسير سورة البروج والحمد لله.

سورة الطارق

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝١٧﴾ [الطارق: ١-١٧].

سورة الطارق مكية، وقد كان النبي ﷺ يقرأ بها في صلاة الظهر والعصر، كما عند أبي داود (٨٠٥) وغيره عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِـ (السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) وَ (السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) وَنَحْوِهِمَا مِنَ السُّوَرِ.

وكذا في صلاة العشاء وأمر معاذًا رضي الله عنه بقراءتها؛ كما عند ابن حبان (٢٤٠٠) وفيه أنه قال له: «اقرَأْ بـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾».

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾: أقسم الله تعالىٰ بالسماء وما جعل فيها من النجوم والكواكب النَّيِّرة.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾: معظما لشأنه، ثم فسره بقوله:

﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: أي: المضيء الذي يثقب نوره فيخرق السموات فينفذ حتىٰ يرىٰ في الأرض.

وقيل: الذي يثقب الشياطين إذا أُرسل عليها.

وقيل: الثُّرَيَّا، والعرب تسميه النجم.

وقيل: زُحَل سُمي بذلك لارتفاعه.

والأظهر أنه اسم جنس يشمل جميع النجوم الثواقب.

والطارق النجم يظهر بالليل، وما أتاك ليلًا فهو طارق، ويؤيده ماجاء في البخاري (٥٢٤٣)، ومسلم (٧١٥) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقًا**».

والمقسم عليه قوله:

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾: أي: كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]

ويحفظ عليها أعمالها الصالحة والسيئة كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١].

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾: أي: فليتفكر الإنسان وليتدبر خلقته ومبدأه، وفي هذا تنبيه للإنسان علىٰ ضعف أصله الذي خلق منه، وإرشاد له إلىٰ الاعتراف بالمعاد؛ لأن من قدر علىٰ البداءة فهو قادر علىٰ الإعادة بطريق الأولىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾: أي مدفوق، والمراد به المني؛ يخرج دفقا من الرجل ومن المرأة.

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: يعني: صلب الرجل أي ظهره، وترائب المرأة والترائب هي عظام الصدر والنحر.

وقيل: المراد يخرج -أي: الماء الدافق- من صلب الرجل وترائبه.

لأن ترائب المرأة تسمىٰ ثدي.

وكل ذلك صحيح؛ لأن الولد مخلوق منهما؛ فهو يأتي من اختلاط ماء الرجل بماء المرأة كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢].

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾: أي: أن الذي خلق الإنسان من ماء دافق قادر علىٰ إعادته وبعثه إلىٰ الدار الآخرة؛ فإن القادر علىٰ البدء قادر علىٰ الإعادة.

وقيل: المراد أن الله قادر علىٰ رَجْع الماء الدافق إلىٰ مقره الذي خرج منه.

والأول هو المراد من الآية ولهذا قال بعده:

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾: أي: يوم القيامة تبلىٰ السرائر، وتظهر الخفايا، ويصبح السر علانية، ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر علىٰ وجوه أصحابها كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وفي البخاري (٦١٧٧)، ومسلم (١٧٣٥) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لكل غَادِرٍ لِوَاءٌ يُرْفَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ**».

﴿فَمَا لَهُۥ﴾: أي: الإنسان يوم القيامة.

﴿مِن قُوَّةٍ﴾: أي: في نفسه.

﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾: أي: من خارج منه ينتصر به.

والمعنىٰ: أن الإنسان لا يقدر أن يدفع عن نفسه شيئًا من عذاب الله، ولا أن ينتصر بأحد ليدفع عنه ذلك.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾: وهذا قسم آخر، أقسم الله ﷻ فيه بالسماء ذات الرجع.

والرَّجْعُ: المطر؛ لأنه يرجع كل عام ويتكرر.

وقيل: هو السحاب الذي فيه المطر.

وقيل: تُرْجِع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم.

وقيل: ترجع الأعمال إلىٰ السماء وترفع إليها.

وقيل: ترجع السماء بالأقدار والشؤون الإلهية كل وقت.

وقيل: ترجع نجومها وشمسها وقمرها.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾: أي: التي تنصدع عن النبات.

فأقسم الله بالسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، والمقسم عليه قوله:

﴿إِنَّهُ﴾: أي القرآن.

﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾: أي: حقٌّ وصدقٌ، واضحٌ بيِّن.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ﴾: دليل علىٰ أن القرآن كلام الله بصوت وحرف، وهذا الذي عليه إجماع أهل السنة.

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾: أي: بل هو حق جَدٌّ لاهزل فيه.

﴿إِنَّهُمْ﴾: أي: الكفار.

﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: أي: يمكرون بهذا الدين وأهله مكرًا عظيمًا، ويسعون لصدهم عنه.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾: جزاء كيدهم ومكرهم فإن الله يكيدهم ويمكر بهم والله غالب علىٰ أمره لايعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

والمكر والكيد من الصفات التي تكون علىٰ سبيل المقابلة والجزاء فإن الله يوصف بكل كمال وينزه عن كل نقص بأي وجه من الوجوه، فهو سبحانه يمكر بمن يمكر بدينه وعباده المؤمنين، ويكيد بمن كادهم.

وصفات الله ﷻ علىٰ ثلاثة أنواع:

الأول: صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ فهذه يوصف الله تعالىٰ بها؛ كالعلم، والسمع، والبصر، والقدرة.

الثاني: صفات نقص لا كمال فيها؛ فهذه لا يوصف الله تعالىٰ بها بل ينزه عنها؛ كالظلم، والنوم، والعجز، والخيانة.

الثالث: صفات تكون كمالًا من وجه، ونقصًا من وجه؛ فهذه لايوصف الله بها مطلقا وإنما علىٰ سبيل المقابلة والجزاء؛ كالخداع، والمكر، والكيد، ولهذا وردت مقيدة كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] ، وقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: أي: أنظِرهم ولا تستعجل لهم.

﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾: أي: قليلًا وسيعلمون عاقبة أمرهم وما يحلّ بهم من العقوبة والهلاك، كما قال تعالىٰ: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤].

آخر تفسير سورة (الطارق) والحمد لله رب العالمين.

سورة الأعلى

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلىٰ: ١-٥].

سورة الأعلىٰ مكية، ومما جاء فيها:

جاء في البخاري (٤٩٤١) عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرِئَانِنَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ، وَبِلَالٌ، وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ الْوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّىٰ قَرَأْتُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فِي سُوَرٍ مِثْلِهَا.

وفي البخاري (٧٠٥)، ومسلم (٤٦٥) عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ، فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي، فَتَرَكَ نَاضِحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَىٰ مُعَاذٍ، فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، أَوِ النِّسَاءِ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟**» أَوْ «**أَفَاتِنٌ؟**» -ثَلَاثَ مِرَارٍ- «**فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾؛ فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ، وَالضَّعِيفُ، وَذُو الْحَاجَةِ**».

وفي مسلم (٨٧٨) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي

الْعِيدَيْنِ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وَ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾، قَالَ: وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؛ يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ.

وفي مسند أحمد (١٥٣٥٤) عَنِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَىٰ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْوِتْرِ بِـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، فَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: «**سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ**»، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ.

والحديث إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

قوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ : أمر الله نبيه ﷺ أن يسبحه، وهو أمر لأمته إلا إن جاء الدليل علىٰ التخصيص.

وقد امتثل النبي ﷺ لهذا فكان يقول في سجوده: «**سبحان ربي الأعلىٰ**»، ويقول في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم**» كما في مسلم (٧٧٢) من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وكان يكثر في ركوعه وسجوده أن يقول: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**» كما في البخاري (٧٩٤)، ومسلم (٤٨٤) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

ومعنىٰ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ : أي: نزِّه ربك الذي علا علىٰ جميع خلقه عن جميع العيوب والنقائص، ناطقًا باسمه عند ذكرك إياه وتعظيمك له.

وقوله ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ : الذي له العلو التام المطلق من جميع الوجوه، علو الذات والصفات، وعلو القدر، وعلو القهر.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ

﴿ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الشورىٰ: ٤]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وغيرها من الآيات الدالة علىٰ علو الرب ﷻ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾: أي: خلق الخلائق وسوَّىٰ كل مخلوق في أحسن صورة وأكملها.

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾: أي: الذي قدَّر مقادير الخلائق آجالها وأجناسها وأنواعها وصفاتها ومنافعها، وهدىٰ كل مخلوق إلىٰ ما يناسبه، وهذه الهداية العامة التي مضمونها أنه هدىٰ كل مخلوق لمصلحته ومنفعته، وهذه الآية كقوله تعالىٰ إخبارًا عن موسىٰ أنه قال لفرعون: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

وفي مسلم (٢٦٥٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ**».

وفي البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ الله مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾: أي: أنزل من السماء ماء فأنبت به ما ترعاه الأنعام

ويستفيد منه الإنسان.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾: أي: هَشِيمًا مُتَغَيِّرًا أسودَ بعد أن كان مُخْضَرًّا.

قال الله تعالىٰ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ [الأعلىٰ: ٦-٨].

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أي سنقرئك القرآن ونجمعه في صدرك فلاتنساه، وكان النبي ﷺ يسابق جبريل ﷺ في القراءة حرصًا علىٰ ألا ينساه؛ فقال الله تعالىٰ له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة ١٦-١٩].

ففي قوله سبحانه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾؛ إخبار من الله ﷻ، ووعد منه لنبيه ﷺ بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن ينسىٰ منه لحكمة.

وقيل: المراد بقوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ طلب، وجعلوا معنىٰ الاستثناء علىٰ هذا، ما يقع من النسخ.

أي: لا تنسىٰ ما نقرئك إلا ما شاء الله رفعه؛ فلا عليك أن تتركه.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾: أي: يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من الأقوال والأفعال لا يخفىٰ عليه شيء من ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وقال: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾: أي: نسهل عليك أفعال الخير وأقواله، ونشرع لك شرعًا سهلًا سمحًا مستقيمًا عدلًا لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر، وهذه منة

عظيمة امتن الله بها علىٰ محمد ﷺ وأمته حيث رفع عنهم الآصار والأغلال، وسهل لهم شرائع هذا الدين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وفي البخاري (٣٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ».

قال الله تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِي يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلىٰ: ٩-١٩].

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: أي: ذكِّر حيث تنفع التذكرة.

والمؤمن هو من ينتفع بالذكرىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

واستُدل بهذه الآية علىٰ صيانة العلم وعدم وضعه عند غير أهله، وفي البخاري (١٢٧) عن علي رضي الله عنه قال: (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ).

وأخرج مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: (مَا أَنْتَ بمحدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِمْ).

وقيل: المعنىٰ: فذكِّر إن نفعت الذكرىٰ أو لم تنفع؛ فإنك تؤدي الذي عليك.

قال الجرجاني: التذكير واجب وإن لم ينفع.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾: أي: سيتعظ بما تبلغه يا محمد من يخشىٰ الله ويتقه

ويعلم أنه ملاقيه؛ لأنه الذي ينتفع بذلك.

و (الخشية): أخص من الخوف؛ فهي خوف مع التعظيم مقرون بعلم ومعرفة، ولذلك كانت للعلماء كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾: أي: يبتعد عن الذكرىٰ وينفر منها، ولا ينتفع بها.

﴿ٱلْأَشْقَى﴾: أي: الكافر الذي شقي بكفره في الدنيا بقسوة القلب وبعده عن عبادة الله والإيمان به، وفي الآخرة بدخوله نار جهنم.

﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: أي: يدخل نار الآخرة وهي نار عظيمة، موقدة، تطلع علىٰ الأفئدة -عافانا الله منها-.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾: أَي: يعذب عذابًا أليمًا دائمًا، فلا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه، حتىٰ أنه ليتمنىٰ الموت فلا يحصل له ذلك كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وفي صحيح مسلم (١٨٥) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ، أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَىٰ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**».

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾: أي: قد فاز وربح من تزكىٰ بالطاعات من التوحيد

والصلاة والصيام وسائر القربات، وطهَّر نفسه ونقاها من الشرك والظلم والأخلاق الرذيلة.

والفلاح: هي أجمع كلمة قيلت في الحصول علىٰ المطلوب والنجاة من المرهوب.

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾: أي: اتصف بأنه ذاكر لله، مقيم للصلاة لاسيما الصلوات المفروضات في أوقاتها؛ ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتثالًا لشرع الله.

وقيل: قوله: ﴿تَزَكَّىٰ﴾: يعني أخرج زكاة الفطر.

وقوله: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾: أي: صلاة العيد.

وهذا وإن كان داخلًا في اللفظ وبعض جزئياته، فليس هو المعنىٰ وحده، بل المعنىٰ أعم من ذلك، والله أعلم.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: تقدمون الحياة الدنيا وتفضلونها علىٰ الآخرة، مع ما بينهما من تفاوت عظيم؛ فإن الدنيا دنيَّة فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل الدني الفاني علىٰ الشريف الباقي؟!!

﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾: أي: ثواب الله في الدار الآخرة والنعيم العظيم للمؤمن في الجنة خير من الدنيا وأبقىٰ قال تعالىٰ: ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٤].

وفي البخاري (٢٨٩٢) من حديث سَهْل بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**».

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾: أي: ان المذكور في هذه السورة لفي الكتب الأولىٰ المنزلة علىٰ من كان قبل نبينا محمد ﷺ. واختاره السعدي.

قال أبو العالية: قصة هذه السورة في الصحف الأولىٰ.

واختار ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ أن المراد بقوله: ﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾ إشارة إلىٰ قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾ أي: مضمون هذا الكلام ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

واستحسن هذا الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾: خص إبراهيم ﷺ بالذكر لأنه كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٢].

وموسىٰ ﷺ لأنه كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥١-٥٢]

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

ولشدة معاناته من بني إسرائيل وصبره عليهم، ففي البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**رَحِمَ الله مُوسَىٰ، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»، والله أعلم.

آخر تفسير سورة الأعلىٰ والحمد لله رب العالمين.

سورة الغاشية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ [الغاشية: ١-٧].

سورة الغاشية مكية، وفي صحيح مسلم (٨٧٨) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وَ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾، قَالَ: وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؛ يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ.

وفي رواية: أَنَّ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ كَتَبَ إِلَىٰ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ يَسْأَلُهُ: أَيّ شَيْءٍ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، سِوَىٰ سُورَةِ الْجُمُعَةِ؟ فَقَالَ: كَانَ يَقْرَأُ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾.

قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾: أي: هل أتاك خبر الغاشية؟

والذي عليه جمهور المفسرين أن الغاشية: من أسماء يوم القيامة؛ لأنها تغشىٰ الناس وتعمهم بأهوالها.

وقيل: الغاشية: اسم للنار؛ لأنها تغشىٰ الكفار بحرها ولهيبها كما قال تعالىٰ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].

ثم بين الله ﷻ أن الناس في يوم القيامة إما أشقياء وإما سعداء؛ فأخبر عن وصف كلا الفريقين، فقال في وصف أهل النار:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ﴾: أي: ذليلة حقيرة.

وقال ابن عباس: تخشع ولا ينفعها عملها. قيل في الدنيا وهو قول عمر رضي الله عنه، وقيل في الآخرة كما مر معنا الآيات في سورة النازعات في قوله تعالىٰ: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٩].

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾: قد عملت عملًا كثيرًا في الدنيا ونصبت فيه، وصليت يوم القيامة نارا حامية.

أي: أن الكفار من اليهود والنصارىٰ وغيرهم عملوا في الدنيا وتعبوا في عبادتهم لغير الله، ثم يوم القيامة يصلون العذاب في نار جهنم.

وقيل معناها: أن أهل النار يتعبون وينصبون فيها وهم يُعذَبون ويَجرون السلاسل والأغلال التي غُلَّت أعناقهم بها -والعياذ بالله-.

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾: أي: شديدة الحر تحيط بهم من كل مكان كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢١-٢٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [الهمزة: ٦-٩].

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾: أي: قد انتهىٰ حرها وغليانها، فهي شديدة الحرارة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟

﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾: بعد أن أخبر الله ﷻ عن شرابهم وأنه الحميم، أخبر عن طعامهم وأنه الزقوم كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦].

والضريعُ نبت يقال له: الشِّبرِق، تأكله الإبل إذا كان طريًّا، فإذا يبس صار سمًّا، ويسميه أهل الحجاز إذا يبس: الضريع.

فطعام أهل النار من شر الطعام وأبشعه وأخبثه وأنتنه والعياذ بالله.

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾: أي: لايسمن بدنًا ولا يسد جوعًا، وذلك أن المقصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسد جوع صاحبه ويدفع عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، فلا يحصل به مقصود، ولا يندفع به محذور، بل هو طعام في غاية المرارة والخبث والنتن عافانا الله من ذلك.

قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية: ٨-١٦].

لما ذكر الله حال الأشقياء، ثنَّىٰ بذكر السعداء؛ فقال تعالىٰ:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾: أي: يوم القيامة.

﴿نَّاعِمَةٌ﴾: أي: قد جرت عليهم نضرة النعيم، واستنارت وجوههم.

﴿لِّسَعْيِهَا﴾: الذي قدمته في الدنيا من الأعمال الصالحة.

﴿رَاضِيَةٌ﴾: قد رضيت؛ لأنها وجدت ثواب ماقدمته مدخرًا مضاعفًا، ونالت الجزاء الأوفىٰ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: أي: رفيعة في محلها ومنازلها؛ فمحلها في أعلىٰ عليين، ومنازلها مساكن عالية، يتنعم أصحابها، وهم في الغُرُفات آمنون.

جاء في البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣٠) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَونَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ -أَوِ الْمَغْرِبِ- لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**».

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً﴾: وفي قراءة: ﴿لَّا تُسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةٌ﴾ أي: لا يُسْمَعُ في الجنة كلمة لغو، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا﴾ [مريم: ٦٢]، وقال: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣]، وقال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾: أي: سارحة، وهذه نكرة في سياق الإثبات، وليس المراد بها عينًا واحدة، وإنما هذا اسم جنس، يعني: فيها عيون جاريات، يفجرونها ويصرفونها كيفما شاؤوا.

فيها أنهار الماء وأنهار اللبن وأنهار الخمر وأنهار العسل، كما قال تعالىٰ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]، وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ الآية [محمد: ١٥].

وفي صحيح البخاري (٧٤٢٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا**

بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَىٰ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

وعند ابن حبان (٧٤٠٨) من حديث أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَفْجُرُ مِنْ تَحْتِ تِلَالٍ -أَوْ: مِنْ تَحْتِ جِبَالِ- الْمِسْكِ»، وهو حديث صحيح.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾: أي: سرر عالية ناعمة كثيرة الفَرْش، مرتفعة السَّمْك، عليها الحور العين.

قالوا: تدنوا من أصحابها؛ فإذا أرادوا الجلوس علىٰ تلك السرر العالية تواضعت لهم، كما قال تعالىٰ: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣].

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾: يعني: أواني الشرب ممتلئة مُعَدَّة مُرصدة لمن أرادها من أربابها، يطوف بها عليهم الولدان المخلدون كما قال تعالىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧-١٨].

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾: أي: وسائد مصفوفة من الحرير والإستبرق وغيرهما قد صُفَّت وأُعِدَّت للجلوس والإتكاء عليها، كما قال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وقال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦].

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾: أي: بُسُط مبثوثة هاهنا وهاهنا مملوءة بها مجالسهم لمن أراد الجلوس عليها؛ أينما شاء أن يجلس وجدها.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٦].

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾: يقول الله تعالىٰ لمنكري قدرته علىٰ ما وصف في هذه السورة من العقاب الذي أعده لأعدائه، والنعيم الذي أعده لأوليائه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؟

فأمرهم بالنظر فيما يشاهدون من مخلوقاته الدالة علىٰ قدرته وعظمته، وخص الإبل لأنها كانت أنفس أموالهم وأكثرها، لاتفارقهم ولايفارقونها؛ فيلاحظون فيها العبر الدالة علىٰ قدرة الخالق سبحانه، من إخراج لبنها من بين فرث ودم ومن عجيب خلقها وهي علىٰ عظمها مذللة للحمل الثقيل، وتنقاد للصبي الصغير، وليس في ذوات الأربع ما يحمل عليه وقره وهو بارك فيطيق النهوض به سواها.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾: أي: رفعت عن الأرض بلا عمد كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقيل: رفعت فلا ينالها شيء.

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾: أي: جُعِلَت منصوبة قائمة ثابتة راسية لئلا تَميد الأرض بأهلها كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وقوله: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٢].

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: أي: بُسِطَت ومُدَّت ومُهِّدَت وسُهِّلت؛

ليستقر الخلائق علىٰ ظهرها، ويتمكنوا من حرثها وزرعها، والانتفاع بها في شتَّىٰ المنافع.

وفي قراءة: ﴿سُطِّحَتْ﴾ بتشديد الطاء.

فنبه الله سبحانه البدوي علىٰ الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه، والسماء التي فوقه، والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته؛ علىٰ قدرة خالق ذلك وعظمته، وأنه الخالق العظيم المستحق للعبادة وحده لاشريك له.

وهكذا أقسم ضمام بن ثعلبة في سؤاله علىٰ رسول الله ﷺ ففي البخاري (٦٣)، ومسلم (١٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ، فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «**صَدَقَ**». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «**الله**». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «**الله**». قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: «**الله**». قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ، وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، آللهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا. قَالَ: «**صَدَقَ**». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا. قَالَ: «**صَدَقَ**». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا. قَالَ: «**صَدَقَ**». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: (صَدَقَ). قَالَ: ثُمَّ وَلَّىٰ. قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ**».

﴿فَذَكِّرْ﴾: أي: ذكر الناس وعظهم وأنذرهم وبشرهم.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾: أي: إنما بعثت لدعوة الخلق إلىٰ توحيد الله وتذكيرهم ووعظهم، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾: أي: لست عليهم بمسلط، ولا أنت بجبار تحملهم علىٰ ما تريد كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لست عليهم بجبار.

وقال ابن زيد: لست الذي تكرههم علىٰ الإيمان.

وفي مسلم (٢١) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾: أي: لكن من تولىٰ عن الطاعة وكفر بالله كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الْقِيَامَةِ: ٣١، ٣٢].

﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾: وهو عذاب جهنم. وقيل الاستثناء متصل فيكون معنىٰ العذاب الأكبر السيف فيكون المعنىٰ فسيعذبه الله بأيدي المؤمنين لأن الآية مكية والسيف شرع في المدينة كما في قول الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ [الدخان: ١٦] أي يوم بدر.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾: أي: مرجعهم ومنقلبهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾: فنحاسبهم علىٰ ما عملوا من خير وشر.

آخر تفسير سورة الغاشية، والحمد لله رب العالمين.

سورة الفجر

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ [الفجر: ١-٤].

سورة الفجر مكية.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾: أقسم الله تعالىٰ بالفجر، وهو الفجر المعروف، الذي هو بدء النهار.

وقيل: صلاة الفجر.

وقيل: فجر يوم النحر خاصة.

وقيل: فجر أول يوم من ذي الحجة.

وقيل: غير ذلك.

والأول أظهر، والله أعلم.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: المشهور أن المراد بها عشر ذي الحجة، التي فيها الوقوف بعرفة، ويقع فيها كثير من أفعال الحج، وفي البخاري (٩٦٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا العَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ**» قَالُوا: وَلاَ الجِهَادُ؟ قَالَ: «**وَلاَ الجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ**».

وعند أبي داود (٢٤٣٨) بلفظ: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ**» يَعْنِي: أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟

قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ».

وقيل: إنها العشر الأواخر من رمضان التي فيها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها صيام آخر رمضان الذي هو ركن من أركان الإسلام.

وقيل: العشر الأول من رمضان.

وقيل: العشر الأول من محرم.

والقولان الأخيران بعيدان، والله أعلم.

﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾: قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿وَٱلْوِتْرِ﴾ بكسر الواو، وفتحها الباقون، وهما لغتان.

وللمفسرين في الشفع والوتر عشرون قولا منها:

قيل: الشفع: الخلق كله، والوتر: هو الله تعالىٰ.

وقيل: هي الصلاة، منها شفع كالرباعية والثنائية، ومنها وتر كالمغرب، فإنها ثلاث، وهي وتر النهار. وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل.

وقيل: الوتر يوم عرفة لكونه التاسع، والشفع يوم النحر لكونه العاشر.

وقيل: الشفع يوم عرفة ويوم الأضحىٰ، والوتر: ليلة النحر.

وقيل: هو العدد، منه شفع ومنه وتر.

وقيل: الشفع الأيام والليالي، والوتر: اليوم الذي لاليلة بعده، وهو يوم القيامة.

وقيل: الشفع: درجات الجنان لأنها ثمان، والوتر: دركات النار لأنها سبع،

فكأن الله أقسم بالجنة والنار.

وقيل: غير ذلك.

والصحيح أن الآية عامة؛ فأقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكل ما هو شفع ووتر، والله أعلم.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾: أي: وقت سريانه وإرخائه ظلامه علىٰ العباد.

وقيل: إذا ذهب.

والأول أظهر؛ لأن الله سبحانه أقسم بالفجر وهو أول النهار، ثم أقسم بالليل الذي هو آخر النهار كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٧، ١٨].

قال تعالىٰ: ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر: ٥-١٤].

قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾: أي: هل في ذلك المذكور من الأمور قسم لذي عقل ولُبٍّ.

وسمي العقل حجرًا؛ لأنه يحجر صاحبه عن القبيح ويمنعه من تعاطي ما لا يليق به من الأقوال والأفعال.

ومعنىٰ ذلك: أن من كان ذا عقل سليم؛ علم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء؛ فيه دلائل علىٰ توحيد الله وقدرته، وأنه المستحق للعبادة وحده لاشريك له.

وهذا القَسَم هو بأوقات العبادة، وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك

من أنواع العبادات.

ورجح السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المقسم عليه في هذه السورة هو المقسم به لعظمته وقيل غير ذلك.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾: فخوّف الله أهل مكة بإهلاك من كان أشدّ منهم.

وعاد: هم قوم هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعة الله مكذبين لرسله، جاحدين لكتبه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥].

وقد أهلكهم الله بريح صرصر عاتية؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۜ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤]،

وقوله تعالىٰ: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ ۖ حُسُومًا ۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧-٨]

وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون.

﴿إِرَمَ﴾: عطف بيان؛ زيادة تعريف بهم؛ أي: عاد هي إرم، وهي قبيلة من قبائل العرب.

وقيل: إن إرم بيت مملكة عاد.

﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾: قيل: لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي تُرفع بالأعمدة الشداد.

وقيل: معنىٰ ذات العماد: أي: ذات الطول، سموا بذلك لطول قامتهم.

قال الزجاج: يقال: رجل مُعْمَد؛ إذا كان طويلًا.

وقيل: ذات الشدة والقوة.

وقيل: ذات البناء المحكم بالعماد.

وسواء كانت العماد أعمدة بيوتهم، أو طول الواحد منهم، أو أبنية بنوها، فهم قبيلة وأمة من الأمم، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشا، ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلىٰ أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم، فقال: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾: أي: القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم، لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم، فكانوا يرفعون بيوتهم ويشيدونها، كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٣٤].

﴿وَثَمُودَ﴾: أي: ألم تر ما فعل الله ﷻ بثمود، وهم قوم صالح ﷺ جاءهم بالبينات والهدىٰ؛ فأبوا إلا الكفر والعناد واستحبوا العمىٰ علىٰ الهدىٰ؛ فأهلكهم

الله؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٧].

﴿ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ﴾: أي: قطعوا الصخر؛ لقوتهم وشدتهم.

وقال ابن عباس: ينحتونها ويخرقونها.

﴿بِٱلْوَادِ﴾: أي: وادي القرىٰ؛ إذ كانوا يسكنون فيه، وينحتون من الجبال بيوتا كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩].

﴿وَفِرْعَوْنَ﴾: أي: ألم تر كيف فعل ربك بفرعون الذي تجبر وتكبر وادعىٰ الربوبية.

﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾: قيل: الأوتاد: الجنود الذين يشدون له أمره.

وقيل: كان فرعون يعذب الناس بالأوتاد؛ فيوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها.

وقيل غير ذلك.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾: يعني: عادًا وثمود وفرعون، الذين طغوا وتمردوا وعتوا عن أمر الله.

﴿فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾: أي: عاثوا في الأرض فسادًا بالكفر والفسوق ومحاربة الرسل وأذية الناس.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾: أي: أنزل عليهم رجزًا من السماء، وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين، وصبّ عليهم العذاب صبًّا؛ فأهلك عادا بالريح، وثمود بالصيحة، وفرعون بالغرق، كما قال تعالىٰ: ﴿فَكُلًّا

أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾: قال ابن عباس: يسمع ويرىٰ.

يعني: يرصد خلقه فيما يعملون، ويجازي كلا بسعيه في الدنيا والأخرىٰ.

وهو سبحانه يمهل من عصاه، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٥-١٧].

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ١٥-٢٠].

قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾: أي: جنس الإنسان.

﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾: أي: اختبره.

﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾: بالمال والولد.

﴿وَنَعَّمَهُۥ﴾: أي: وسع عليه في المأكل والمشرب والملبس.

﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾: أي: فيزعم أن ذلك من الله إكرام له كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠].

وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾: أي: وأما إذا ابتلاه وامتحنه بالفقر وضيَّق عليه في الرزق.

﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾: أي: فيزعم أن ذلك من الله إهانة له.

فرد الله عليه بقوله:

﴿كَلَّا﴾: أي: حقًّا ليس الأمر كما زعم، لا في هذا ولا في هذا؛ فإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويُضيِّق علىٰ من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك علىٰ طاعة الله في كل من الحالين، إذا كان غنيًّا؛ بأن يشكر الله علىٰ ذلك، وإذا كان فقيرًا؛ بأن يصبر.

﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾: أي: لا تكرمون اليتيم الذي فقد أباه واحتاج إلىٰ جبر خاطره والإحسان إليه.

وفي هذا أمر بإكرام اليتيم.

ففي البخاري (٦٠٠٥) عن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا**». وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ.

وكما أمر الله بإكرام اليتيم نهىٰ عن ظلمه وقهره، وتوعد من ظلمه؛ فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحىٰ: ٩].

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: أي: لا يحض بعضكم بعضًا علىٰ

إطعام المحتاجين من الفقراء والمساكين؛ لشدة حرصكم علىٰ الدنيا، ولهذا قال سبحانه:

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾: أي: المال المكتسب بالميراث ونحوه.

﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾: أي: أكلًا شديدًا من أي جهة حصل لهم؛ من حلال أو حرام، ويتلفونه في كثير مما حرم الله.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: أي: كثيرًا شديدا، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلىٰ: ١٦-١٧]، وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠-٢١].

وفي مسلم (١٠٤٨) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَىٰ وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ**».

قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢١-٣٠].

يخبر الله تعالىٰ عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة فقال:

﴿كَلَّآ﴾: أي: حقًّا.

﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: أي: دُكت وتكسر كل شيء عليها،

وسُوِّيت الأرض والجبال، كما في قول الله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٨].

وفي البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠) عن سَهْل بْنَ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ**». قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ.

وقال ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وقام الخلائق من قبورهم لربهم.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾: أي: لفصل القضاء بين عباده.

وفيه إثبات صفة المجيء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما يليق بجلاله وعظمته.

﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾: أي: والملائكة يجيئون بين يدي الله صفوفًا صفوفًا.

﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾: أي: يُجاء بجهنم تجرها الملائكة بالسلاسل، وتقرب من أصحابها.

وفي صحيح مسلم (٢٨٤٢) عن ابْن مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك يَجُرُّونَهَا**».

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾: أي: يومئذ يتذكر الإنسان عمله وما قدمه من خير وشر، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ [النازعات: ٣٥].

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾: أَي: لا تنفعه الذكرىٰ حينئذ، فقد فات أوانها وذهب زمانها.

﴿يَقُولُ﴾: نادما متحسرا علىٰ ما فرط في جنب الله.

﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾: يتمنىٰ لو أنه قدم لحياته الباقية الدائمة أعمالًا صالحة كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٨].

فيندم الإنسان في ذلك اليوم ويتحسر علىٰ تفريطه وعلىٰ ما كان اقترف من المعاصي -إن كان عاصيًا-، ويود لو كان ازداد من الطاعات -إن كان طائعًا-.

وفي مسند أحمد (١٧٦٥٠) بسند صحيح عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَمِيرَةَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَىٰ وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَىٰ أَنْ يَمُوتَ هَرَمًا فِي طَاعَةِ اللهِ لَحَقَرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَوَدَّ أَنَّهُ رُدَّ إِلَىٰ الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ**».

والحديث جاء مرفوعًا عند أحمد (١٧٦٤٩)، والطبراني (٣٠٣) من حديث عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السّلمي، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «**لَوْ أَنَّ رَجُلًا يَخِرُّ عَلَىٰ وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَىٰ يَوْمِ يَمُوتُ هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ اللهِ لَحَقَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، والمرفوع فيه ضعف، وقد حسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع (٥٢٤٩).

وفي الآية دليل علىٰ أن الحياة التي ينبغي السعي لها هي الحياة الآخرة، وهي الحياة الدائمة الأبدية كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾: أي: يوم القيامة.

﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: وفي قراءة: (لا يُعذَّب) بفتح الذال.

فعلىٰ قراءة الفتح: أي: لا يُعذَّب عذاب الكافر أحد.

وعلىٰ قراءة الكسر: أي: لايعذِّب عذاب الله أحد أي كعذابه.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: أي: وليس أحد أشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بالله، فيوثق بالسلاسل فلايستطيع فرارا، كما في قوله تعالىٰ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢].

وكما في حديث عبد الله بن مسعود المتقدم عند مسلم: «**يؤتىٰ بجهنم...**» الحديث.

﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: التي تطمئن بذكر الله الساكنة إلىٰ حبه.

وهذا خطاب تخاطب به روح المؤمن عند الاحتضار كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩].

وفي حديث البراء وغيره: «**اخرجِي أيّتُها النفسُ الطيّبةُ كانت في الجسدِ الطيّبِ اخرجي حميدةً وأبشري بروحٍ وريحانٍ وربٍّ غيرِ غضبانٍ**».

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾: بالموت.

﴿رَاضِيَةً﴾: أي: في نفسها.

﴿مَّرْضِيَّةً﴾: أي: قد رضيت عن الله، ورضي الله عنها وأرضاها.

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾: أي: في جملة عبادي الصالحين.

﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾: وهذا يقال لروح المؤمن عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضًا.

آخر تفسير سورة الفجر، والحمد لله رب العالمين.

سورة البلد

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ [البلد: ١-٤].

سورة البلد مكية.

قوله تعالىٰ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾: المعنىٰ: أقسم بهذا البلد، و (لا) دخلت توكيدا، كقوله تعالىٰ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩]. قاله الزجاج.

فأقسم الله بالبلد الأمين وهو مكة المكرمة كما أقسم به في سورة التين: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١-٣].

﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾: أي: وأنت أيها الرسول حلال لك ما تصنع في مكة من قتل من يستحق القتل، وأسر من يستحق الأسر.

والمعنىٰ: أن الله وعد نبيه ﷺ أن يفتح مكة علىٰ يديه؛ بأن يحلها له، فيكون فيها حلا. وإنما أحلها الله لنبيه ساعة من نهار.

وقيل: هذا قسم من الله تبارك وتعالىٰ بمكة أم القرىٰ في حال كون الساكن فيها حالًا؛ لينبه علىٰ عظمة قدرها في حال إحرام أهلها.

وقيل: أقسم الله بمكة لعظم قدرها وفضلها خصوصًا وقت حلول الرسول ﷺ فيها.

وقيل: فأنت مُحِلٌّ بهذا البلد غير مُحْرِم في دخوله، يعني؛ عام الفتح.

وقيل: إنت به من غير حرج ولا إثم.

وقيل: أي: أن المشركين بهذا البلد يستحلون إخراجك وقتلك، ويحرمون قتل الصيد.

والصحيح القول الأول، وهذا المعنىٰ قد ورد به الحديث الذي أخرجه البخاري (٣١٨٩) ومسلم (١٣٥٣) عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «**إِنَّ هَذَا البَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ القِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلاَ يُخْتَلَىٰ خَلاَهُ**»؛ فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا الإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ، قَالَ: «**إِلَّا الإِذْخِرَ**».

وفي البخاري (١٠٤) ومسلم (١٣٥٤) عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ، أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلاَ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ**».

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾: يعني آدم، وذريته، وهذا قول الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة، واختاره ابن كثير.

وذلك لأن الله تعالىٰ لما أقسم بأم القرىٰ وهي المساكن أقسم بعده بالساكن، وهو آدم أبو البشر وذريته.

واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده، وهو محتمل أيضًا.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾: هذا جواب القسم.

والمعنىٰ: لقد خلقنا الإنسان في نصب ومكابدة؛ يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة، فعليه أن يسعىٰ في عمل يريحه من ذلك، ويكون له الفرح والسرور الدائم.

وإن لم يفعل؛ فإنه لايزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد.

وقيل: الكبد: الاستواء والاستقامة؛ فيكون المعنىٰ: لقد خلقنا الإنسان سويًّا مستقيمًا، في أحسن تقويم؛ كقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٧]، وكقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وقيل: في وسط السماء؛ أي: لقد خلقنا آدم في كبد؛ أي: في وسط السماء.

وقيل غير ذلك.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ٥-١٠].

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾: أي: أيحسب أن لن يقدر الله علىٰ بعثه ومعاقبته؟!

وقيل: أيحسب أن لن يقدر أحد علىٰ أخذ ماله.

وقيل: ابن آدم يظن أن لن يُسأل عن هذا المال: من أين اكتسبه؟ وأين أنفقه؟

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾: أي: يقول أنفقت مالًا لُبَدًا؛ أي: مالًا كثيرًا بعضه فوق بعض؛ فيطغىٰ ويفتخر بما أنفق من الأموال علىٰ شهوات نفسه.

وسمَّىٰ الله تعالىٰ الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكًا؛ لأنه لاينتفع المنفق بما أنفق، ولايعود عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار، وأما الانفاق في مرضاة الله في سبيل الخير؛ فلا يسمَّىٰ إهلاكًا بل يسمَّىٰ نفقة وصدقة، وهذه تجارة مع الله، يربح المنفق أضعاف أضعاف ما أنفق.

وقيل: إنه أراد: أهلكت مالًا كثيرًا في عداوة محمد؛ فكأنه استطال بما أنفق.

وقيل غير ذلك.

ثم قال الله سبحانه متوعدا هذا الذي أهلك ماله في الشهوات والمحرمات:

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: أي: أيحسب حال إهلاكه لماله فيما لا يرضي الله؛ أن الله ﷻ لم يره؟!

بل قد رآه الله، وحفظ عليه أعماله، ووكَّل به الكرام الكاتبين، لكل ما عمله من خير وشر، قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾: أي: يُبصِر بهما.

﴿وَلِسَانًا﴾: أي: يَنطِق به؛ فَيُعبِّر عمَّا في ضميره.

﴿وَشَفَتَيْنِ﴾: يستعين بهما علىٰ الكلام وأكل الطعام، وجمالًا لوجهه وفمه.

فرزقه الله هذه الجوارح للجمال والبصر والنطق، وغير ذلك من المنافع؛ فهذه نعم الدنيا، ثم ذكر نعم الدين؛ فقال:

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾: يعني: سبيل الخير والشر.

ونظير هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢-٣].

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ۝٢٠﴾ [البلد: ١١-٢٠].

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾: أي: أفلا سَلَك الطريق التي فيها النجاة والخير، ثم بينها بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ الآيات.

وقال قتادة: إنها قَحْمَة شديدة فاقتحموها بطاعة الله ﷻ.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾: أي: أي شيء أعلمك ما العقبة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣].

ثم بيَّنها فقال سبحانه:

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: جاء عند أحمد (١٨٦٤٧) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ، أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ**». فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَلَيْسَتَا بِوَاحِدَةٍ؟ قَالَ: «**لَا، إِنَّ عِتْقَ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرَّدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكَّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا، وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ، وَالْفَيْءُ عَلَىٰ ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ، وَاؤْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ**». وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩) عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَرْجَانَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّىٰ فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ**».

وفي مسند أحمد (١٩٤٤٠) عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ بَنَىٰ لِلهِ مَسْجِدًا لِيُذْكَرَ اللهُ ﷻ فِيهِ، بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَعْتَقَ نَفْسًا مُسْلِمَةً كَانَتْ فِدْيَتَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

﴿أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾: أي: ذي مجاعة شديدة.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: أي: أطعم في مثل هذا اليوم يتيمًا ذا قرابة.

وفي البخاري (٥٣٠٤)، عَنْ سَهْلٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا**». وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا.

وفي مسند أَحْمَدُ (١٦٢٢٧) عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الصَّدَقَةُ عَلَىٰ الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَىٰ ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صِلَةٌ، وَصَدَقَةٌ**»، والحديث صحيح لغيره.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: أي: فقيرًا مُدقعًا لاصقًا بالتراب؛ لشدة فقره.

﴿ثُمَّ كَانَ﴾: أي: هذا المطعم والمنفق في أوجه الخير.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أي: من الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، يحتسبون ثواب ذلك عند الله ﷻ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]

وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: أوصىٰ بعضهم بعضا بالصبر علىٰ طاعة الله، وعن معصيته، وعلىٰ أقدار الله المؤلمة.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾: أوصىٰ بعضهم بعضًا بالتراحم بينهم، كما قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]

وفي البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِاللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ**».

وعند أبي داود (٤٩٤١) عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»، وهو حديث صحيح.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: أي: المتصفون بهذه الصفات هم أصحاب اليمين؛ الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم يوم القيامة، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا

﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٨].

وقال: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩١].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: أي: الذين كذَّبوا بآيات الله، وجحدوا بها؛ هم أصحاب الشمال، الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم يوم القيامة، وقد قال الله عنهم: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٤].

وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٧].

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾: أي: مُطْبَقة عليهم، فلا مَحِيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها، في عَمَد مُمَدَّدة، قد مُدَّت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتىٰ يكونوا في ضيق وهم وشدَّة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٨-٩].

آخر تفسير سورة البلد، والحمدلله.

سورة الشمس

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ١-٨].

سورة الشمس مكية.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾: أقسم الله بالشمس وضحاها ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته سبحانه، أما العبد فلا يقسم إلا بالله.

واختلف في المراد بقوله: ﴿وَضُحَىٰهَا﴾؛ فقيل: ضوءها.

وقيل: النهار كله.

وقيل غير ذلك.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾: وأقسم بالقمر إذا تَبِعَهَا في الظهور.

وقيل: إذا ساواها.

والأول أظهر.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾: أي: جلَّىٰ الظلمة، وأضاء البسيطة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ٢].

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾: أي: يغشىٰ البسيطة فيكون كل شيء مظلمًا.

وقيل: يغشىٰ الشمس بظلمته فيذهب بضوئها.

والأول أظهر، والله أعلم.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾: يُحتمَل أن تكون «مَا» مَوصولة بمعنىٰ (من)؛ فيكون القسم بالسماء وبانيها، الذي هو الله تبارك وتعالىٰ.

ويُحتمَل أن تكون (ما) مصدرية؛ فيكون القسم بالسماء وبنيانها الذي هو في غاية الإتقان والإحكام.

والبناء هو الرفع، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ أي: بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧، ٤٨].

﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾: أي: دحاها وبسطها للانتفاع بها كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠-٣١].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾: أي: خلقها سوية مستقيمة علىٰ الفطرة القويمة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

وفي البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟**» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الْآيَةَ.

وَفِي صحيح مُسْلِمٍ (٢٨٦٥) عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي**

يَوْمِي هَذَا؛ كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ..» الحديث.

وقيل: المراد جميع النفوس المخلوقة.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾: أي: فأرشدها إلىٰ فجورها وتقواها، وبين لها ذلك، وهداها إلىٰ ما قُدِّر لها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وكقول الله ﷻ: ﴿وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

وفي صحيح مسلم (٢٦٥٠) عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَىٰ عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَىٰ عَلَيْهِمْ، قَالَ فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللهِ وَمِلْكُ يَدِهِ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزِرَ عَقْلَكَ، إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَىٰ فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: «**لَا، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَىٰ فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ** ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾».

وجاء في مسند أحمد (١٩٩٣٦) قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُونَ إِذًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَنْ كَانَ اللهُ خَلَقَهُ لِوَاحِدَةٍ مِنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ يُهَيِّئُهُ لِعَمَلِهَا**».

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

[الشمس: ٩-١٥].

قَوْلُهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾: أي: قد أفلح من زكَّىٰ نفسه بطاعة الله وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤- ١٥].

والفلاح: هو حصول المطلوب، والسلامة من المرهوب.

والمعنىٰ الثاني: قد أفلح من زكَّاه الله.

وفي صحيح مسلم (٢٧٢٢) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ، كَانَ يَقُولُ: «..**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**..» الحديث.

قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾: أي: وقد خاب من أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدىٰ، حتىٰ ركب المعاصي وترك طاعة الله ﷻ.

والمعنىٰ الثاني: قد خاب من دسَّاه الله.

ثم أخبر الله عن حال ثمود وتكذيبهم وطغيانهم فقال سبحانه:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾: أي: كذبت ثمود بما جاء به نبيهم صالح ﷺ؛ بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي، والترفع عن قبول الحق.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾: أي: أشقىٰ القبيلة.

قيل اسمه: قُدَار بن سَالِف، عاقر الناقة، وهو أُحَيْمِر ثمود، وهو الذي قال الله تعالىٰ عنه: ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩]. وكان هذا الرجل شريفًا في قومه، عزيزًا فيهم، نَسيبًا رئيسًا مطاعًا؛ كأبي زمعة ففي البخاري (٤٩٤٢)، ومسلم (٢٨٥٥) عن عَبْد اللهِ بْنُ زَمْعَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ [الشمس: ١٢] **انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ، مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ**».

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾: يعني صالحًا ﷺ.

﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾: أي: اتركوا ناقة الله، واحذروا أن تمسوها بسوء.

﴿وَسُقۡيَـٰهَا﴾: أي: لا تعتدوا عليها في سُقْياها، فإن لها شِرْب يوم ولكم شِرْب يوم معلوم كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: أي: كذَّبوا نبيهم صالح ﷺ وخالفوا أمره وارتكبوا ما نهاهم عنه.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾: أي: فعقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم.

والذي عقرها واحد هو الأشقىٰ، ولكن الله أضاف الفعل إليهم جميعا؛ لأنهم تواطؤوا وتمالؤوا علىٰ ذلك.

﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ﴾: أي: غضب الله عليهم بسبب ذنوبهم وتكذيبهم لنبيهم؛ فدمر عليهم، وعمهم بعقابه؛ فأخذتهم الصيحة من فوقهم والرجفة من تحتهم؛ فأصبحوا جاثمين علىٰ ركبهم لاتجد منهم داعيًا ولامجيبًا

كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٤-٦٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٧-١٨].

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: أي: سوَّىٰ بينهم في الإهلاك؛ فجعل العقوبة نازلة عليهم علىٰ السواء.

وقيل: سوَّىٰ الأرض عليهم.

وكلاهما صحيح.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾: وقرئ: ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾.

أي: لا يخاف اللهُ من أحد تَبِعَةً في إهلاكهم؛ فهو القهار الذي لا يغلب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقيل: لا يخاف الذي عقرها عقبىٰ ما صنع.

وقيل: إنه نبي الله صالح ﷺ لم يخف عقباها.

والأول أظهر، والله أعلم.

آخر تفسير سورة الشمس والحمدلله رب العالمين.

سورة الليل

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ١-٧].

سورة الليل مكية، وقد أمر النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يقرأ بها في صلاته، ويخفف إذا صلىٰ بالناس ففي البخاري (٧٠٥)، ومسلم (٤٦٥) عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنهما قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ، فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي، فَتَرَكَ نَاضِحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَىٰ مُعَاذٍ، فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، أَوِ النِّسَاءِ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟**» أَوْ «**أَفَاتِنٌ؟**» -ثَلَاثَ مِرَارٍ- «**فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِـ** ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾».

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾: أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالليل إذا يغشىٰ البسيطة بظلامه.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: وأقسم بالنهار إذا تجلىٰ بضيائه وإشراقه.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾: في (ما) قولان:

الأول: أن (ما) موصولة؛ فيكون أقسم بنفسه الكريمة؛ أي: والذي خلق الذكر والأنثىٰ.

الثاني: أن (ما) مصدرية؛ فيكون أقسم بخلقه الذكر والأنثىٰ، كما في قوله

تعالىٰ: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النبأ: ٨]، وكقوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩].

وكما في قراءة عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَٱلذَّكَرِ وَٱلْأُنثَىٰ﴾، كما عند البخاري من حديث أبي الدرداء (٤٩٤٤).

والقراءة المشهورة المثبتة في المصحف العثماني الإمام في سائر الآفاق هي: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾.

ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضًا متضادًّا، ولهذا قال تعالىٰ:

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾: أي: إن أعمالكم أيها الناس متضادة متفاوتة تفاوتًا كثيرًا؛ فمنكم من يعمل الخير، ومنكم من يعمل الشر.

ثم بيَّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حال كل طائفة فقال:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾: أي أعطىٰ ما أُمِر بإخراجه من العبادات المالية كالزكوات والصدقات والكفارات والنفقات، والعبادات البدنية كالصلاة والصيام، والعبادات المركبة منهما، كالحج والعمرة.

﴿وَٱتَّقَىٰ﴾: أي: راقب الله، واجتنب ما نُهي عنه من المعاصي والمحرمات.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾: أي: صدق بلا إله إلا الله وما دلت عليه.

وقيل: صدق بالجنة.

وقيل: صدق بالجزاء والخلف من الله علىٰ عطائه.

وقيل: بنعم الله عليه.

وقيل غير ذلك، ويحتمل ذلك كله، والله أعلم.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾: أي: للخير، قاله ابن عباس.

والمعنىٰ نيسر ذلك عليه.

وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها.

وقيل: للجنة، قاله زيد بن أسلم.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل: ٨-١٣].

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾: بما أمره الله به؛ فبخل بماله، ولم يؤد ما أوجب الله عليه من العبادات.

﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾: أي: عن الله؛ فترك عبوديته وتجبر وتكبر، وأظهر استغناءه عن ربه ولم ير نفسه مفتقرة إليه، وما من مخلوق إلا وهو مفتقر إلىٰ الله كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وجاء عن ابن عباس: أي: بخل بماله، واستغنىٰ عن ربه ﷻ.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾: أي: كذب بالتوحيد، أو كذب بالجنة، أو كذب بالجزاء في الدار الآخرة، أو كذب بنعم الله، علىٰ ما تقدم من المعاني.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾: أي: لطريق الشر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وقيل: للنار.

والأدلة من القرآن في هذا المعنىٰ كثيرة دالة علىٰ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجازي من قصد الخير؛ بالتوفيق لفعله وتيسيره له، ومن قصد الشر؛ بالخذلان، وكل ذلك مقدر لحكمة منه وعدل.

وكذلك الأدلة من السنة، ومن ذلك: ما جاء في البخاري (٤٩٤٦)، ومسلم (٢٦٤٧) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ عُودًا يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «**اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: ٥-٦]» الْآيَةَ.

وفي رواية للبخاري برقم (٤٩٤٨): كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، وَمَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً، أَوْ سَعِيدَةً**». قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ. قَالَ: «**أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ الْآيَةَ.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾: أي: وما يغني عنه ماله إذا مات فتردَّىٰ في قبره. قاله مجاهد.

وقيل: إذا تَرَدَّىٰ في جهنم. قاله ابن عباس وقتادة.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: أي: إن علينا هداية الناس، وأن نبين لهم طريق الهدىٰ وطريق الضلال.

وقيل: أي أن من سلك طريق الهدىٰ وصل إلىٰ الله، وجعله كقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النَّحْلِ: ٩].

والأول أظهر، والله أعلم.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾: ملكًا وتصرفًا؛ فليس لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيهما مشارك أو منازع.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٤-٢١].

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾: أي: خوفتكم نارًا توقد وتتوهج -أعاذنا الله منها-.

ومما جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

وفي مسند الإمام أحمد (١٨٣٩٨) عن سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَخْطُبُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ يَقُولُ: «**أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ**»، حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِالسُّوقِ، لَسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا، قَالَ: حَتَّىٰ وَقَعَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَىٰ عَاتِقِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ.

وفي صحيح البخاري (٦٥٦١)، ومسلم (٢١٣) عن النعمان ابن بَشِير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ، يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ».

وفي لفظ لمسلم (٢١٣): «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ، مَا يَرَىٰ أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا».

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾: أي: لا يدخلها ويخلد فيها إلا الأشقىٰ.

والمراد به الكافر، وهذا كقول الله تعالىٰ: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٠-١٣].

ثم فسره فقال:

﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾: أي: بقلبه.

﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: أي: عن العمل بجوارحه وأركانه.

وفي صحيح البخاري (٧٢٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ».

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾: أي: وسيزحزح عن النار، وينجو منها.

﴿ٱلْأَتْقَى﴾: الذي يفعل المأمور ويترك المحظور.

ثم فسره بقوله:

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾: أي: ينفق ماله في طاعة ربه؛ ليزكي نفسه وماله، كما في قوله تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾: أي: ليس بذله لماله مجازاة لمعروف أسدي إليه، وإنما قربة لله ﷻ.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: أَي: الذي حمله علىٰ هذا الإنفاق؛ أنه يرجو الله، ويخلص له، ويطمع في رؤية وجهه سبحانه في الدار الآخرة في روضات الجنات.

وفي هذه الآية اثبات صفة الوجه لله تعالىٰ، كما يليق بجلاله سبحانه، وهي من الصفات الذاتية، قال تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وفي مسلم (١٧٩) عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

وفي النسائي (١٣٠٥) من حديث السائب رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ**».

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾: أي: ولسوف يرضىٰ من اتصف بهذه الصفات بما سيعطيه الله في الآخرة من الثواب العظيم.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وحكىٰ بعضهم إجماع المفسرين علىٰ ذلك.

وَفِي البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ،**

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلَىٰ مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَىٰ أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**».

آخر تفسير سورة (الليل)، والحمد لله.

سورة الضحى

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ [الضحىٰ: ١-٥].

سورة الضحىٰ مكية، وقد جاء أنه يستحب التكبير عند قراءتها وما بعدها من السور إلىٰ أن يختم، كما عند الحاكم في المستدرك من حديث أبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال في سورة الضحىٰ: (قرأتُ علىٰ رسول الله ﷺ، فأمرني أن أُكَبِّر فيها إلىٰ أن أختم).

ولكن الحديث ضعيف، تفرد به أبو الحسن أحمد بن محمد البزِّي، وهو وإن كان إماما في القراءات إلا أنه ضعيف في الحديث.

وجوز بعض أهل العلم التكبير لمن قرأ برواية البزِّي عن ابن كثير، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٤١٧): (إذا قرءوا بغير حرف ابن كثير كان تركهم لذلك -أي: التكبير- هو الأفضل) اهـ

وكيفية التكبير أن يقول: (الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر).

وقيل: يقتصر علىٰ (الله أكبر).

وسبب نزول هذه السورة: ما جاء في البخاري (١١٢٥)، ومسلم (١٧٩٧) عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: احْتَبَسَ جِبْرِيلُ ﷺ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ

مِنْ قُرَيْشٍ: أَبْطَأَ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ. فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾.

وفي مسلم (١٧٩٧): (أَبْطَأَ جِبْرِيلُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَدْ وُدِّعَ مُحَمَّدٌ. فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾).

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾: أقسم الله ﷻ بالضحىٰ.

وقيل: بالنهار، ومافيه من الضياء.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾: وأقسم بالليل إذا سكن فأظلم وغطىٰ البسيطة، وهذا دليل علىٰ قدرة الخالق ﷻ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١، ٢]، وقال: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾: أي: ما تركك.

﴿وَمَا قَلَىٰ﴾: أي: وما أبغضك.

وقد تقدم ذكر سبب نزول هذه السورة. والقول بفترة الوحي ثابت كما في البخاري (٣٢٣٨)، ومسلم (١٦١) عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الْوَحْيُ فَتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ..**» الحديث.

وأما قصة محاولة النبي ﷺ التردي من رؤوس الجبال عندما انقطع الوحي؛ فمنكرة لا تثبت سندًا ولا متنًا، وما كان لرسول الله ﷺ أن يقدم علىٰ الانتحار،

وهو المعروف بالصبر، وهو ذو الخلق العظيم.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾: أي: والدار الآخرة خير لك من هذه الدار.

ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد الناس في هذه الدنيا، وقد خيّره الله قبل موته بين زهرة الحياة الدنيا وبين ما عنده؛ فاختار ما عند الله.

وقيل: الذي لك في الآخرة أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا.

وقيل: كل حالة متأخرة من أحوالك؛ فإنها خير من الحالة السابقة.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾: أي: في الدار الآخرة.

﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾: أي: بما أعطاك الله.

قيل: الشفاعة في أمته حتىٰ يرضىٰ.

وقيل: ما أعده الله له من الكرامة، ومن جملة ذلك نهر الكوثر.

وروىٰ ابن جرير من طريقه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (عُرِضَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا هُوَ مَفْتُوحٌ عَلَىٰ أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَنْزًا كَنْزًا، فَسُرَّ بِذَلِكَ، فَأَنْزَلَ الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾؛ فَأَعْطَاهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ أَلْفَ قَصْرٍ، فِي كُلِّ قَصْرٍ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْخَدَمِ). وإسناده صحيح إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما، وهو في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني رحمه الله، وفي الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل الوادعي رحمه الله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن عباس، ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف).

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ

﴿٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾

[الضحىٰ: ٦-١١].

ثم قال الله تعالىٰ معددًا نعمه علىٰ عبده ورسوله محمد ﷺ:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾: أي: ألم تكن يتيمًا؛ فآواك الله وحفظك، وذلك أن أبا النبي ﷺ توفي وهو في بطن أمه، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين.

واليتيم يلحقه من الضعف والإنكسار ما يلحقه، ولكن الله آواه وحفظه؛ فكان في كفالة جده عبد المطلب في حفظ ورعاية إلىٰ أن توفي، ثم كفله عمه أبو طالب؛ فلم يزل يحوطه وينصره ويغضب لغضبه ويكف عنه أذىٰ قومه بعد أن ابتعثه الله علىٰ رأس أربعين سنة من عمره.

وكل هذا من حفظ الله له ورعايته وعنايته به.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾: أي: وجدك ضالًّا عن أحكام الشريعة لاتدري ما الكتاب ولا الإيمان؛ فعلمك مالم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾: فقيرًا لا مال لك.

﴿فَأَغْنَىٰ﴾: فأغناك الله بالغنائم، وبما فتح عليك من البلدان.

ورضَّاك بما أعطاك من الرزق، ورزقك القناعة وغنىٰ النفس، وفي البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ**».

وفي صحيح مسلم (١٠٥٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**».

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾: أي: كما كنت يتيمًا فآواك الله؛ فلا تقهر اليتيم بقول أو فعل، بل أحسن إليه وارفق به.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾: أي: وكما كنت ضالًّا فهداك الله؛ فلا تنهر السائل في العلم المسترشد لدينه.

وقيل: وكما كنت فقيرا فأغناك الله؛ فلا تنهر السائل الفقير؛ فإما أن تعطيه، وإما أن ترده بلطف ورفق.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: أي: وكما أنعم الله عليك بنعم عظيمة دينية ودنيوية؛ فحدث بنعمة الله عليك، واثن علىٰ الله بها.

وليُر عليك أثر النعمة.

وعند أبي داود (٤٨١٣)، والترمذي (٢٠٣٤) عن جابر عن النبي ﷺ: «**مَن أُعْطِي عَطَاءً فوجَدَ فليَجْزِ به، فإن لم يَجدْ فليَثْنِ به، فمن أَثْنىٰ به فقد شَكَرَه، ومَن كَتَمَه فقد كَفَرَه**».

وعند أحمد (١٥٨٨٧)، والنسائي (٥٢٢٤) عن أبي الأحوَصِ الجُشَميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبيهِ، قالَ: رآني النَّبيُّ ﷺ وعليَّ أطمارٌ، فقالَ: «**هل لَكَ من مالٍ؟!**» قلتُ: نعَم، قالَ: «**مِن أيِّ المالِ؟**» قلتُ: مِن كلِّ قد آتانيَ اللهُ، منَ الشَّاءِ والإبلِ،

قالَ: «**إذا آتاكَ اللهُ مالًا فليُرَ أثرُ نعمةُ اللهِ وَكَرامتُهُ عليكَ**».

وقيل: النعمة هنا النبوة والعلم؛ أي: حدث بها ولا تكتمها. وجعلها ابن القيم عامة.

آخر تفسير سورة (الضحىٰ)، والحمد لله.

سورة الشرح

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ١-٨].

سورة الشرح مكية.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾: أي: قد شرحنا لك صدرك بالوحي والعلم والإيمان، وجعلناه مستنيرًا رحبًا فسيحًا كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢].

وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقيل: المراد بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ شق صدره ليلة الإسراء، كما في البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ، فَانْطُلِقَ بِي، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، فَشُرِحَ صَدْرِي إِلَىٰ كَذَا وَكَذَا**». قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِي: مَا يَعْنِي؟، قَالَ: إِلَىٰ أَسْفَلِ بَطْنِهِ، «**فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، يُقَالُ لَهُ: الْبُرَاقُ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ**

الْبَغْلِ، يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَىٰ طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا..» الحديث.

ولا منافاة، فإن من جملة شرح صدره ﷺ ما كان من شق صدره ليلة الإسراء، وحشو قلبه بالإيمان والحكمة.

وقد شق صدر النبي ﷺ أيضًا في صغره، كما في مسلم (١٦٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ، وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ؛ فَأَخَذَهُ، فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً. فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَىٰ أُمِّهِ -يَعْنِي: ظِئْرَهُ- فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ، وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ.

قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَىٰ أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾: أي: حططنا عنك وزرك، وكفرنا عنك ذنبك، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾: أي: الذنب الذي أثقلك حمله.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء والذكر الرفيع، فلايذكر الله إلا ذكر معه النبي ﷺ لاسيما في الشهادة عند دخول الإسلام، وفي الأذان.

قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

وأخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ سَأَلْتُهُ، قُلْتُ: قَدْ كَانَتْ قَبْلِي أَنْبِيَاءُ، مِنْهُمْ مَنْ سُخِّرَتْ لَهُ الرِّيحُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ. قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَيْتُكَ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَبِّ. قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ ضَالًّا فَهَدَيْتُكَ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَبِّ. قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ عَائِلًا فَأَغْنَيْتُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَبِّ. قَالَ: أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؟ أَلَمْ أَرْفَعْ لَكَ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَبِّ»، والحديث في السلسلة الصحيحة للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٥٣٨).

وقيل: رفعنا لك ذكرك بالنبوة

وقيل: رفعنا لك ذكرك في الآخرة، كما رفعناه في الدنيا.

وقيل غير ذلك.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾: أخبر الله تعالىٰ أن مع العسر يوجد اليسر، ثم أكد هذا الخبر.

وهذه بشارة عظيمة أنه كلما وجد عسر؛ فإن اليسر يصحبه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

وعند أحمد (٢٨٠٣)، والترمذي (٢٥١٦) عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ -فذكر الحديث- وفيه: «**وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**».

وتعريف (العسر) في الآيتين، يدل علىٰ أنه واحد، وتنكير (اليسر) يدل علىٰ تكراره؛ فلن يغلب عسر يسرين.

كما أن تعريفه بالألف واللام، الدالة علىٰ الاستغراق فيه دلالة علىٰ أن كل عسر مهما اشتد وعظم، يعقبه تيسير وفرج لا محالة.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾: أي: فإذا فرغت من أعمالك الدنيوية؛ فانصب في عبادة ربك، واجتهد في ذلك.

وقيل: فإذا فرغت من الفرائض؛ فانصب في قيام الليل.

وقيل: فإذا فرغت من الصلاة؛ فانصب في الدعاء.

وقيل غير ذلك.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾: أي: فارغب فيما عند الله ﷻ.

والرغبة ورجاء ما عند الله عبادة جليلة كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

آخر تفسير سورة (الشرح)، والحمدلله.

سورة التين

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين: ١-٨].

سورة التين مكية.

وفي البخاري (٧٦٩)، ومسلم (٤٦٤) عَن الْبَرَاءَ بن عَازِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ فِي الْعِشَاءِ، وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ، أَوْ قِرَاءَةً).

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾: التين هي الشجرة المعروفة، وكذلك الزيتون.

وأقسم الله بهاتين الشجرتين؛ لكثرة منافعهما، ولأن سلطانهما بأرض الشام محل نبوة عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقيل: المراد بالتين: المسجد الحرام، والزيتون: المسجد الأقصىٰ.

وقيل: التين: مسجد دمشق،

والزيتون: مسجد بيت المقدس.

وقيل: التين: الجبل الذي عليه دمشق،

والزيتون: الجبل الذي عليه بيت المقدس.

وقيل غير ذلك، والأول أظهر.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: جبل الطور بسيناء؛ الذي كلم الله عليه موسىٰ، وهو محل نبوة موسىٰ ﷺ.

﴿وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾: يعني: مكة، محل نبوة محمد ﷺ.

فأقسم الله ﷻ بهذه المحال الثلاثة؛ لأنها محل أشرف النبوات، وكان في كل محل منها رسول من أولي العزم من الرسل.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: هذا هو المقسم عليه، وهو أن الله تعالىٰ خلق الإنسان في أحسن صورة، وأتم خلق.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ﴾: أي: إلىٰ النار.

أي: أن هذا الإنسان التام الخلق مصيره إلىٰ النار، إن لم يطع الله ويتبع الرسل، ولهذا استثنىٰ الله المؤمنين؛ فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾.

وَقيل: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ﴾: أي: إلىٰ أرذل العمر، وهو الخرف، وهو قول إبراهيم، واختاره ابن جرير، وتأولوا الاستثناء في ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بمعنىٰ ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي: غير مقطوع، بل إذا مرض العبد المؤمن كتب له ثواب عمله كما كان صحيحًا.

والقول الأول هو الأظهر، وأن المراد بذلك النار، كما في قوله تعالىٰ:

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ١-٣]. وهو قول: قتادة، ومجاهد، وابن زيد، ورجحه ابن كثير، والسعدي.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: استثنىٰ الله الذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: وبادروا بفعل الأعمال الصالحة.

وهذا دليل علىٰ دخول الأعمال في مسمىٰ الإيمان.

﴿فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ﴾: أي: غير مقطوع، كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]، وقوله: ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة: ٣٣].

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ﴾: أي: أي شيء يجعلك أيها الإنسان تكذب بيوم الجزاء والحساب، وقد رأيت من آيات الله الكثيرة ما به يحصل لك اليقين، ومن نعمه العظيمة ما به يجب عليك الشكر.

أوَ ليس الذي خلقك من عدم قادر علىٰ إعادتك وبعثك كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [القيامة ٣٧-٤٠]،

وقال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾: أي: أليس الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو أحكم الحاكمين، وأقضىٰ القاضين، الذي يفعل ما يشاء، والذي لا يجور ولا يظلم أحدًا، ومن حكمته وعدله سبحانه أن يُقيم القيامة؛ فيُثيب المطيع، ويُعاقب العاصي،

وينصف المظلوم ممن ظلمه.

وقد جاء عند أبي داود (٨٨٧)، والترمذي (٣٣٤٧) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ**: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾، **فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ آخِرِهَا**: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ **فَلْيَقُلْ**: **بَلَىٰ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ**»، وهذا حديث ضعيف؛ لإبهام الراوي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

آخر تفسير سورة (التين)، والحمد لله.

سورة العلق

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥].

سورة العلق مكيَّة، وهي أول سورة نزلت من القرآن، وأول ما نزل الخمس الآيات الأول، كما في البخاري (٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ فَجِئَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فِيهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ -حَتَّىٰ بَلَغَ- ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]..» الحديث.

﴿ٱقْرَأْ﴾: أي: تعلَّم، وفي هذا دليل علىٰ فضل العلم وعلو منزلته؛ حيث أمر الله به قبل بقية الشرائع والأحكام.

﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾: أي: استفتح قراءتك باسم الله، مستعينًا به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾: أي: أوجد الخلق من العدم.

ثم خص الإنسان، وذكر ابتداء خلقه؛ فقال ﷻ:

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾: جمع عَلَقَة؛ أي: خلق الإنسان من قطعة دم متجمدة بعد أن كانت نطفة.

فأوله نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم يجعله عظامًا، ثم يكسو العظام لحمًا، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾: أي: اقرأ وأبشر بالخير من ربك الأكرم؛ أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود.

وقال الكلبي: الحليم عن جهل العباد لا يعجل عليهم بالعقوبة.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾: يعني الخط والكتابة.

فمن جود الله وكرمه: أن علم الإنسان بالقلم.

وذكر القلم لأنه به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق.

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾: ومن جود الله وكرمه أيضًا: أن علم الإنسان ما لم يكن يعلم من أنواع الهدىٰ والبيان.

وقيل: علّم آدم الأسماء كلها.

وقيل: الإنسان هاهنا محمد ﷺ؛ أي: وعلّمك ما لم تكن تعلم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ [العلق: ٦-١٩].

﴿كَلَّآ﴾: أي: حقا.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾: أي: إن الإنسان ليأشر ويبطر.

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾: أي: أن الإنسان لجهله وظلمه إذا رأىٰ نفسه استغنىٰ وكثر ماله؛ طغىٰ وتجبر وتكبر عن قبول الهدىٰ.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾: أي: إلىٰ الله المرجع، والمآب كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية: ١٥]،

ثم يجازي كل عامل علىٰ عمله كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾: أي: ألا تعجب من هذا الذي ينهىٰ عن الصلاة، وعن عبادة الله وطاعته.

نزلت في أبي جهل لعنه الله، حين توعَّد النبي ﷺ علىٰ الصلاة عند البيت، وأنه إن رآه يفعل ذلك فسيطأ علىٰ رقبته.

والحديث أخرجه مسلم (٢٧٩٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ. فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ. قَالَ: فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ

عَلَىٰ عَقِبَيْهِ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**». قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ -لَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ-: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾ - يَعْنِي: أَبَا جَهْلٍ - ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾. زَادَ عُبَيْدُ اللهِ فِي حَدِيثِهِ: قَالَ: وَأَمَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ. وَزَادَ ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾. يَعْنِي قَوْمَهُ.

وفي سنن الترمذي (٣٣٤٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟، فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَزَبَرَهُ؛ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (وَاللهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللهِ).

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾: أي: أرأيت إن كان هذا الذي تنهاه -وهو النبي ﷺ- (علىٰ الهدىٰ) أي: العلم بالحق، والعمل به.

﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾: أي: وكان يأمر غيره بالتوحيد وعبادة الله وحده، وأنت تنهاه وتتوعده علىٰ صلاته!!

ثم قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾: أي: الناهي، وهو أبوجهل.

والمعنىٰ: أرأيت الذي ينهىٰ عبدًا إذا صلىٰ، وهو كاذب معرض عن الحق؛ فأي شيء أعجب من هذا؟!!

ثم قال مهددًا له:

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾: أي: أما علم هذا الناهي لهذا المُهتَدي أن الله يراه، ويعلم ما يقول وما يفعل، ولا تخفىٰ عليه خافية، وأنه سيجازيه علىٰ فعله أشدّ الجزاء.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾: أي: لئن لم يرجع عما هو فيه من تكذيب النبي ﷺ وشتمه وإيذائه.

﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: أي: لنأخذنه بناصيته أخذًا عنيفًا.

والناصية: هي مقدم الرأس.

﴿نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾: أي: ناصية أبي جهل كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾: أي: فليدع قومه وعشيرته؛ لنصرته وإعانته.

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾: أي: ملائكة العذاب، لأخذه وعقوبته؛ حتىٰ يعلم من يغلب، وأي الفريقين أقوىٰ وأقدر.

وهذا الوعيد لأبي جهل لتوعده النبي ﷺ، ولو وقع منه ذلك؛ لسلَّط الله عليه الزبانية، ولكنه نكص علىٰ عقبيه لما رأىٰ أهوالًا وأجنحة، ولذلك قال النبي ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**».

وفي البخاري (٤٩٥٨) عن ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ

مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الكَعْبَةِ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ عُنُقِهِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**لَوْ فَعَلَهُ لَأَخَذَتْهُ المَلَائِكَةُ**».

ثم أمر الله نبيه ألا يصغي إلىٰ هذا الناهي ولا ينقاد لنهيه، وهو أمر لكل من نُهي عن طاعة الله:

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾: أي: لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة علىٰ الصلاة وسائر العبادات؛ فإنه لا يأمر إلا بما فيه خسارة الدارين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

﴿وَٱسْجُدْ﴾: لربك.

﴿وَٱقْتَرِب۩﴾: منه سبحانه في سجودك وجميع عباداتك، وإنما خص السجود بالذكر؛ لأن العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد كما في صحيح مسلم (٤٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**».

آخر تفسير سورة العلق والحمد لله رب العالمين.

سورة القدر

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ١-٥].

سورة القدر مكية.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾: أي: القرآن.

﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾: أي: ذات الشرف والرفعة والقدر العظيم، وهي الليلة المباركة التي قال الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

فأنزل الله القرآن جملة واحدة إلىٰ بيت العزة من السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان، كما قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال ابن عباس: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة علىٰ رسول الله ﷺ.

وثبت عن عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم (١٦٨٦) قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾: فَإِنَّ اللهَ ﷻ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ

حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ.

وقيل: أول نزوله كان في ليلة القدر في رمضان.

وسميت بليلة القدر؛ لعظم قدرها وشرفها،

ولأن للطاعات فيها قدرًا عظيمًا وثوابًا جزيلًا، فالعمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيه ليلة القدر.

وفي البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، ولأن الله يقدر فيها ما يشاء، ويكتب الملائكة فيها من الأقدار والآجال والأرزاق إلىٰ مثلها من السنة القابلة، قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

ثم قال الله تعالىٰ تعظيما لشأنها:

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾: فإن شأنها جليل، وقدرها عظيم.

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: أي: لعظم شأن هذه الليلة وبركتها؛ فإن العمل الذي يقع فيها من قيام وذكر ونحو ذلك؛ خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وهذا من أعظم ما منّ الله به علىٰ هذه الأمة الضعيفة.

والألف شهر قرابة أربع وثمانين سنة.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾: أي: أن من بركة هذه الليلة وفضلها وشرفها أنه يكثر نزول الملائكة فيها.

والروح: المراد به جبريل، ﷺ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]،

فيكون من باب عطف الخاص علىٰ العام.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾: أي: أن تنزلهم يكون بأمر من الله كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾: أي: سالمة من كل أمر، ومن كل آفة وشر.

وقيل: تقضىٰ فيها الأمور، وتقدر الآجال والأرزاق، كما قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

﴿سَلَـٰمٌ هِىَ﴾: أي: سلام هي من كل أمر.

وقيل: سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو أذىٰ.

وقيل: تسلم الملائكة فيها علىٰ أهل المساجد المقيمين فيها لعبادة الله.

وقيل: هي خير كلها، ليس فيها شر.

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾: أي: تنتهي عند طلوع الفجر.

[فصل]

متىٰ ليلة القدر؟

اختلف أهل العلم في تعيين ليلة القدر إلىٰ أقوال كثيرة، ذكر بعض أهل العلم في ذلك ستة وأربعين قولا.

وأرجحها كلها أنها في العشر الأواخر من رمضان، وأرجاها أوتارها، وأرجىٰ الأوتار السبع الأواخر، وأرجاها ليلة سبع وعشرين.

- أما كونها في العشر الأواخر من رمضان فيدل علىٰ هذا حديث أبي سعيد

الخدري في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**التمسوها في العشر الأواخر**».

- وأما كون أرجاها أوتارها فيدل عليه حديث عائشة في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر**»، وكذا حديث أبي سعيد في الصحيحين مرفوعا وفيه: «**فالتمسوها في العشر الأواخر، والتمسوها في كل وتر**».

- وأما كون أرجىٰ الأوتار السبع الأواخر؛ فيدل عليه حديث ابن عمر في الصحيحين مرفوعًا وفيه: «**أرىٰ رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر**».

- وأما كون أرجاها ليلة سبع وعشرين؛ فيدل عليه حديث أُبي بن كعب عند مسلم أنه كان يحلف لايستثني أنها ليلة سبع وعشرين، والله أعلم.

هل ليلة القدر في ليلة واحدة كل عام، أو أنها تتنقل؟

اختلف أهل العلم في ذلك؛ فقيل: إنها معينة لاتنتقل أبدًا.

وقيل: هي متنقلة تكون في سنة في ليلة، وفي سنة في ليلة أخرىٰ، وبهذا يجمع بين الأحاديث، ويقال كل حديث جاء بأحد أوقاتها فلا تعارض فيها، وهذا هو الراجح، ويدل علىٰ ذلك حديث أبي سعيد في الصحيحين أنها وقعت ليلة إحدىٰ وعشرين.

وكذا حديث عبد الله بن أُنيس عند مسلم أنها وقعت ليلة ثلاث وعشرين.

الحكمة من إخفاء ليلة القدر وتنقلها.

ذكر أهل العلم أن الحكمة من إخفاء ليلة القدر وتنقلها؛ ليحصل الاجتهاد في التماسها، فتعم العبادة جميع الشهر، ويكون الاجتهاد في العشر الأواخر أكثر.

بخلاف ما لو عينت لها ليلة؛ لاقتصر عليها.

هل ليلة القدر باقية أم أنها رُفِعت؟

الصحيح أن ليلة القدر باقية لم ترفع، وأما ما جاء في البخاري من حديث عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ خرج يخبرهم بليلة القدر فتلاحىٰ رجلان من المسلمين فقال: «**خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحىٰ فلان وفلان فرفعت، وعسىٰ أن يكون خيرًا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة**».

فالمراد بقوله: (فرفعت) أي: رفع تعيينها.

ما الذي يشرع في ليلة القدر؟

يُشرع في هذه الليلة الاجتهاد في العمل الصالح؛ إذ العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، ومن أهم الأعمال التي تشرع فيها:

١- قيام ليلها بالصلاة: ويدل علىٰ هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين أن النَّبيِّ ﷺ قال: «**ومن قامَ ليلةَ القَدرِ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقَدَّمَ مِن ذَنبِه**».

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ).

٢- الاعتكاف: فقد كان رسول الله ﷺ يعتكف في العشر الأواخر؛ التماسا لليلة القدر.

كما في الصحيحين عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**من كان اعتكَفَ معي، فلْيعتكِفِ العَشرَ الأواخِرَ، وقد أُريتُ هذه الليلةَ ثم أُنسِيتُها، وقد رأيتُني أسجُدُ في ماءٍ وطِينٍ مِن صَبيحَتِها فالتَمِسوها في العَشرِ الأواخِرِ، والتَمِسوها في كُلِّ وِترٍ**».

وفي الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ).

٣- الدُّعاء: ويدل علىٰ هذا حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند أحمد والترمذي قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أرأيتَ إنْ عَلِمْتُ أيُّ ليلةٍ ليلةُ القَدرِ، ما أقولُ فيها؟ قال: «**قُولي: اللَّهُمَّ، إنكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفوَ فاعْفُ عَنِّي**».

علامات ليلة القدر:

أولًا: علامات مقارنة: وهي:

١- قوة الإضاءة والنور في تلك الليلة.

٢- طمأنينة القلب وانشراح صدر المؤمن في هذه الليلة أكثر من غيرها من الليالي.

٣- ليلة سمحاء لاحارة ولاباردة، الرياح فيها ساكنة، لا عواصف فيها ولاقواصف، بل يكون الجو مناسبًا.

ويدل علىٰ ماسبق حديث جابر عند ابن حبان وابن خزيمة أن رسول الله ﷺ قال: «**إني كنت أريت ليلة القدر ثم نسيتها وهي في العشر الأواخر وهي طلقة بلجة لاحارة ولاباردة كأن فيها قمرًا يفضح كوكبها لايخرج شيطانها حتىٰ يخرج فجرها**».

والحديث له شواهد يرتقي بها إلىٰ درجة الحسن، والله أعلم.

٤- أن يرىٰ الإنسان الليلة في المنام كما حصل ذلك لبعض الصحابة.

ففي الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أن رجالًا من أصحاب النبي ﷺ أُرُوا

ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «**أرىٰ رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر...**» الحديث

٥- أن الإنسان يجد في قيامها لذة ونشاطا أكثر مما في غيرها من الليالي.

ثانيًا: علامات لاحقة: منها:

١- نزول المطر؛ لحديث أبي سعيد في الصحيحين وفيه: (أنه ﷺ قال: «**وإني رأيت أني أسجد في ماء وطين فمن كان اعتكف مع رسول الله فليرجع**»، فرجعنا ومانرىٰ في السماء قَزَعة فجاءت سحابة فمطرت حتىٰ سال سقف المسجد، وكان من جريد النخل، وأقيمت الصلاة، فرأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء والطين حتىٰ رأيت أثر الطين في جبهته).

وجاء من حديث عبد الله بن أنيس عند مسلم.

٢- طلوع الشمس في صبيحتها لاشعاع لها؛ لحديث أُبي بن كعب عند مسلم أنه حدث عن رسول الله ﷺ: «**أن الشمس تطلع من ذلك اليوم لا شعاع لها**».

وهنالك علامات أخرىٰ ذكرها بعض أهل العلم، ولكنها لاتثبت، والله أعلم.

آخر تفسير سورة (القدر)، والحمد لله.

سورة البينة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ١-٨].

سورة البينة مدنية، وهذا الذي عليه جمهور المفسرين.

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يقرأها علىٰ أبي بن كعب رضي الله عنه تشريفا له، كما في البخاري (٣٨٠٩)، ومسلم (٧٩٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ**: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾» قَالَ: وَسَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»؛ فَبَكَىٰ.

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: اليهود والنصارىٰ.

و (من) لبيان الجنس.

﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي: عبدة الأوثان والأصنام والنيران، وجميع مايُعبد من دون الله، في جميع الأمم.

﴿مُنفَكِّينَ﴾: قيل: منتهين ومنزجرين، قاله مجاهد، وهو قول ابن كثير، وتعقب علىٰ هذا القول أن الكفار والمشركين حين جاءت البينة لم ينته منهم إلا القليل.

وقيل: متفرقين؛ أي: ما كانوا متفرقين حتىٰ أتتهم البينة؛ فتفرقوا، منهم من آمن، ومنهم من كفر، ولهذا المعنىٰ شواهد، ولكنه قد ذكر في السورة.

وقيل: ما كان الله ليتركهم بدون رسالة، حتىٰ جاءتهم البينة؛ وهي رسول من الله، وهذا الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو الأظهر، والله أعلم.

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: أي: حتىٰ تأتيهم الحجة الواضحة.

ثم فسر الله تلك البينة؛ فقال:

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾: يعني: محمدًا ﷺ، وما يتلوه من القرآن العظيم، الذي هو مكتوب في صحف مطهرة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣-١٦].

﴿فِيهَا﴾: أي: في تلك الصحف المطهرة.

﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾: أي: مكتوب قيِّم عادل مستقيم، لاخطأ فيه، ولا لبس، ولا اعوجاج.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: أي: وما اختلف أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، وصاروا فرقًا وأحزابًا إلا من بعد

أن جاءهم الوحي؛ فأعرضوا عنه، وأقام الله عليهم الحجج والبينات؛ فتفرقوا واختلفوا اختلافًا كثيرًا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وجاء عند أبي داود (٤٥٩٦) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ - أَوْ ثِنْتَيْنِ - وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ إِحْدَىٰ - أَوْ ثِنْتَيْنِ - وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**».

وجاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره عند ابن ماجه (٣٩٩٣): «**كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**».

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: أي: وما أُمر اليهود والنصارىٰ، وجميع المكلفين؛ إلا ليوحدوا الله مخلصين له العمل، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿حُنَفَآءَ﴾: أي: مُتَحنفين مائلين عن الشرك إلىٰ التوحيد. كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]

﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: المفروضة، وهي خمس صلوات في اليوم والليلة.

والصلاة أشرف عبادات البدن، وهي صلة بين العبد وربه.

﴿وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: المفروضة.

والزكاة من أفضل العبادات لما فيها من النفع المتعدي، والإحسان للفقراء والمحتاجين.

وخص الله الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ لفضلهما، وشرفهما.

﴿وَذَٰلِكَ﴾: أي: التوحيد، والإخلاص في العمل.

﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾: أي: الدين المستقيم الموصل إلىٰ جنات النعيم.

وفي هذه الآية دليل علىٰ أن الأعمال داخلة في مسمىٰ الإيمان.

ثم ذكر الله جزاء الكافرين وحالهم؛ فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: أي: إن الذين كفروا من اليهود والنصارىٰ والمشركين يوم القيامة في نار جهنم ماكثين فيها، لايخرجون منها، ولا يُحَوَّلُونَ عنها، ولا يَزُولون، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾: أي: أن اليهود والنصارىٰ والمشركين؛ شر الخليقة التي برأها الله وذرأها.

ثم ذكر الله حال المؤمنين وجزاءهم؛ فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أي: لازموا الأعمال الصالحة، المقربة لهم إلىٰ الله.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾: أي: خير الخليقة التي برأها الله وذرأها؛ فالله هو الخالق البارئ المتصرف في هذا الكون ﷻ.

﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾: أي: ثوابهم يوم القيامة.

﴿جَنَّـٰتُ عَدۡنٍ﴾: أي: جنات إقامة أبدية، لارحيل منها، ولا تحول عنها، لاتفنىٰ، ولاينقطع نعيمها.

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ﴾: إذ أن أنهار الجنة ليس لها أخاديد، قال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَـٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَـٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَـٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنۡهَـٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾: أي: أن من دخل الجنة لاينقطع نعيمها عنه أبدًا فلايبأس، ولايموت، ولايهرم، ولايسقم، كما في مسلم (٢٨٣٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْتَئِسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ** ﷻ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]».

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾: بما قاموا به من مراضيه وامتثال أوامره.

ومقام رضاه عنهم أعلىٰ مما أوتوه من النعيم المقيم.

﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾: بما أعد لهم من النعيم المقيم، وما منحهم من الفضل العظيم.

﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾: أي: هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقاته.

والخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشىٰ منه؛ لذلك خص العلماء بها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

آخر تفسير سورة (البينة)، والحمد لله.

سورة الزلزلة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ١-٨].

سورة الزلزلة مكية، وقيل: مدنية.

وفي سنن أبي داود (٨١٦)عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ جُهَيْنَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الصُّبْحِ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ فِي الرَّكْعَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: أي: تحركت من أسفلها، واهتزت اهتزازا شديدا، وذلك عند قيام الساعة.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: أي: ألقت ما فيها من الأموات والكنوز، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣-٤].

وفي مسلم (١٠١٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ، فَيَقُولُ:**

فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ، فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ، فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ، فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا».

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾: أي: تعجَّب واستنكر ما الذي عرض لها؟!

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: أي: تخبر وتشهد بما عمل العاملون علىٰ ظهرها من خير وشر.

وفي سنن الترمذي (٢٤٢٩) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾. قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا**». قَالَ: «**فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا**».

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾: أي: أمرها بأن تخبر بما عمل عليها؛ فأطاعت.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي: في ذلك اليوم؛ يوم القيامة.

﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾: أي: يخرجون من قبورهم أصنافًا وجماعاتٍ ما بين شقي وسعيد.

وقيل: ﴿أَشْتَاتًا﴾: أي: فِرَقًا، فأهل الإيمان علىٰ حدة، وأهل الكفر علىٰ حدة.

﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾: أي: ليريهم الله جزاء أعمالهم.

ولهذا قال ﷻ:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾: أي: من يعمل في الدنيا عملًا وإن كان مثقال ذرة من الخير أو الشر؛ فإنه يرىٰ جزاء عمله، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا

عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وفي هذه الآية غاية الترغيب في فعل الخير وإن كان قليلًا، والترهيب من فعل الشر وإن كان حقيرًا.

وفي البخاري (٢٨٦٠)، ومسلم (٩٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَىٰ رَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأَطَالَ فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، كَانَتْ أَرْوَاثُهَا وَآثَارُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِئَاءً وَنِوَاءً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ وِزْرٌ عَلَىٰ ذَلِكَ**».

وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْحُمُرِ، فَقَالَ: «**مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاذَّةُ**: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾».

وفي مسند أحمد (٢٠٥٩٣) عَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ -عَمِّ الْفَرَزْدَقِ- أَنَّهُ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾. قَالَ: حَسْبِي لَا أُبَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ غَيْرَهَا.

آخر تفسير سورة (الزلزلة)، والحمدلله.

سورة العاديات

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ [العاديات: ١-١١].

سورة العاديات مكية.

أقسم الله ﷻ بالخيل إذا أُجريت في سبيله، وكانت في أشد قوتها؛ فقال:

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾: أي: والعاديات عدوًا قويًّا؛ فيصدر عنها الضبح.

والضبح: هو صوت نفَس الخيل الذي يُسمَع حين جريها وعدوها.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: أي: الخيل حين تضرب بحوافرها الحجارة؛ فتقدح منه النار.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: أي: الخيل التي تغير علىٰ العدو صباحًا في الغالب، كما كان رسول الله ﷺ يُغِير صباحًا ويَتَسَمَّع أذانًا؛ فإن سمع وإلا أغار.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾: أي: أثرن الغبار؛ لسرعة جريهن.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾: أي: توسطن براكبهن جموع الأعداء.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾: هذا هو المقسم عليه؛ أي: أن الإنسان لنعم ربه لجحود كفور، وهذا حال أكثر الناس كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾: أي: وإن الله علىٰ كنود الإنسان وجحوده؛ لشهيد.

ويُحتمل أن الضمير يعود علىٰ الإنسان، فيكون تقديره: وإن الإنسان علىٰ كونه كنودًا لشهيد؛ أي: بلسان حاله أو بلسان مقاله؛ فيظهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله، كما قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧].

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾: أي: أن الإنسان لحب المال لشديد؛ أي: شديد المحبة للمال؛ فيورده ذلك الموارد، بسبب حبه للمال وتعلقه بالدنيا.

والمعنىٰ الثاني: أن الإنسان لحريص بخيل بما أوجب الله عليه؛ لحرصه علىٰ جمع المال وكنزه.

وكلا المعنيين صحيح.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾: أي: هلَّا يعلم هذا الإنسان إذا أُخرِج ما في القبور من الأموات.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾: أي: جُمِع ما في صدورهم، وظهر للعيان ما كانوا يُسِرُّون في نفوسهم، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].

﴿إِنَّ رَبَّهُم﴾: أي: خالقهم ورازقهم.

﴿بِهِمْ﴾: وبأعمالهم.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي: يوم القيامة.

﴿لَّخَبِيرٌ﴾: أي: عليم مُطَّلِع علىٰ ظواهر الأمور وبواطنها، ومجازيهم عليها.

وخص بيوم القيامة، مع أن الله خبير بعباده في كل وقت؛ لأن المراد بذلك الجزاء بالأعمال الناشئ عن علم الله واطلاعه علىٰ ما فعلوا وما تركوا.

آخر تفسير سورة (العاديات)، والحمد لله.

سورة القارعة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ١-١١].

سورة القارعة مكية.

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: من أسماء يوم القيامة، كالحاقة، والصاخة، والواقعة، والغاشية، وغير ذلك.

سميت بالقارعة؛ لأنها تقرع القلوب والأسماع بأهوالها.

ولهذا قال الله ﷻ معظمًا لأمرها ومهولا لشأنها:

﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾: وما فيها من الأهوال، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٣].

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾: أي: يكون الناس في يوم القيامة كالفراش المنتشر؛ لشدة ما هم فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧].

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾: أي: وتصير الجبال كالصوف المنتوف، الذي قد شرع في الذهاب والتمزق.

فتبقىٰ الأرض، وتنسف الجبال، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

ثم يخبر الله ﷻ أن الناس في ذلك اليوم ينقسمون إلىٰ قسمين؛ فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: أي: ثقلت موازينه بالأعمال الصالحة، ورجحت حسناته علىٰ سيئاته.

وفي هذه الآية إثبات الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة، وتوزن به الصحف، ويوزن به العامل.

وهو ميزان حقيقي وليس مجازًا كما زعمت المعتزلة، حيث زعموا أن المراد به العدل.

وله كفتان، ولسان، توزن فيه أعمال العباد، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وفي حديث البطاقة عند الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠) من حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي**

الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَىٰ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»، والحديث صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وجمعت الموازين؛ لكثرة الموزونات، وإلا فهو ميزان واحد.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: أي: في جنات النعيم، راضٍ بما أنعم الله عليه.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: أي: رجحت سيئاته علىٰ حسناته.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾: لها معنيان:

الأول: أنه يسقط ويهوي بأم رأسه في نار جهنم. وعبر عنه بأمه، يعني: دماغه.

الثاني: أن مأواه ومسكنه النار، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [آل عمران: ١٥١]؛ فيصير في المعاد إليها، وتكون له بمنزلة الأم الملازمة كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

وفي سنن النسائي (١٨٣٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ، فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلَىٰ رَوْحِ اللهِ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ. فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّىٰ يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ. فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ، يَقْدَمُ عَلَيْهِ فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ، مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟

فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا. فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَىٰ أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ. وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ، فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَىٰ عَذَابِ اللهِ ﷻ. فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحٍ جِيفَةٍ، حَتَّىٰ يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ. حَتَّىٰ يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ».

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾: أي: الهاوية، وهذا لتعظيم أمرها، ثم فسرها بقوله هي:

﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾: أي: نار شديدة الحرارة، قوية اللهيب والسعير.

وفي البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً. قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا».

آخر تفسير سورة (القارعة)، والحمد لله.

سورة التكاثر

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ١-٨].

سورة التكاثر مكية.

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾: أي: شغلكم حب الدنيا، وزخرفها، والتكاثر من متاعها عن طلب الآخرة.

ولم يذكر الله ﷻ المتكاثر منه؛ ليشمل كل ما يتكاثر به المتكاثرون من مال وجاه وولد ونحو ذلك.

وفي مسلم (٢٩٥٨) عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، قَالَ: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي. قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟**».

وفي مسلم (٢٩٥٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي. إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَىٰ، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَىٰ، أَوْ أَعْطَىٰ فَاقْتَنَىٰ. وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ**».

وفي البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠) عَن أَنَسَ بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ؛ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَىٰ مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ».

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾: أي: حتىٰ صرتم إلىٰ القبور ودفنتم فيها، كما جاء في البخاري (٣٦١٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَىٰ أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ. قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَىٰ مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ». فَقَالَ لَهُ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ». قَالَ: قُلْتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا بَلْ هِيَ حُمَّىٰ تَفُورُ -أَوْ: تَثُورُ- عَلَىٰ شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذَنْ».

ودلَّ قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ علىٰ البعث والنشور والانتقال إلىٰ الدار الباقية؛ لأن الله سماهم زائرين، والزائر لايقيم.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: أي: حقا سوف تعلمون إذا زرتم المقابر عاقبة غفلتكم وتكاثركم.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: توكيد لعلمهم بالحال، ولكنه علم لاينفعهم لفوات الأوان.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾: أي: لو علمتم حق العلم، ووصل هذا العلم إلىٰ قلوبكم؛ لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة، ولبادرتم إلىٰ طاعة ربكم والتزود من الأعمال الصالحة.

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾: هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ توعدهم بهذا الحال، وهي رؤية النار.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾: أي: رؤية بصرية كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَءَا

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾: أي: ثم لتُسألن يومئذ عن الذي تنعمتم به في الدنيا من صنوف النعم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، وهل قابلتم هذه النعم بشكر الله وعبادته؟ وهل أديتم حق الله فيها؟

وهذه الآية عامة في حق المؤمن والكافر.

ففي مسلم (٢٠٣٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**». فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَىٰ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا، وَأَهْلًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي. قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ. وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ**». فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّىٰ أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**».

وفي مسند أحمد (١٤٦٣٧) عَنْ جَابِرِ بن عَبدِالله رضي الله عنهما، قَالَ: أَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَأَطْعَمْتُهُمْ رُطَبًا وَأَسْقَيْتُهُمْ مَاءً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ**».

وفي مسند أحمد (١٠٣٧٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ** -قَالَ عَفَّانُ: **يَوْمَ الْقِيَامَةِ**-: **يَا ابْنَ آدَمَ، حَمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَزَوَّجْتُكَ النِّسَاءَ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبَعُ وَتَرْأَسُ، فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ؟**».

آخر تفسير سورة (التكاثر)، والحمد لله.

سورة العصر

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

سورة العصر مكية، وهذا الذي عليه الجمهور.

وقيل: مدنية.

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾: أقسم الله بالعصر، وهو الزمان الذي هو محل أفعال العباد.

وقيل: صلاة العصر.

والأول أظهر، والله أعلم.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾: هذا جواب القسم؛ فأقسم الله تعالىٰ بالعصر علىٰ أن الإنسان لفي خسر؛ أي: في خسارة وهلاك.

والخسار قد يكون مطلقًا؛ كحال الكافر الذي خسر الدنيا والآخرة والعياذ بالله.

وقد يكون خسارًا من بعض الوجوه دون بعض؛ كحال العصاة والمفرطين.

ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان إلا من اتصف بأربع صفات؛ فقال ﷻ:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: آمنوا بما أمر الله بالإيمان به، ولايكون الإيمان

إلا بعلم.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: أوصىٰ بعضهم بعضًا بالإيمان بالله، والعمل الصالح.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: أي: وأوصىٰ بعضهم بعضًا بالصبر علىٰ فعل الطاعة، وترك المعصية، وعلىٰ المصائب والأقدار، وأذىٰ من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر.

وفي هذه السورة من الفوائد: أن الإنسان بالإيمان والعمل الصالح يكمل نفسه، وبالتواصي بالحق والتواصي بالصبر يكمل غيره، وبالأربعة يسلم من الخسار ويفوز بالربح العظيم.

وقد جاء عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في تفسير ابن كثير، وزاد المسير لابن الجوزي، أنه قال: (لو تدبر الناس هذه السورة، لوسعتهم).

آخر تفسير سورة (العصر)، والحمد لله.

سورة الهمزة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾

[الهمزة: ١-٩].

سورة الهمزة مكية.

﴿وَيْلٌ﴾: وعيد شديد.

﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾: أي: ويل لكل همَّاز لمَّاز.

والهمَّاز: الذي يعيب الناس بفعله كالغمز بالعين، والإشارة باليد، ونحو ذلك.

واللمَّاز: الذي يعيبهم بقوله؛ كالتنابز بالألقاب، والتنقص، والشتم، ونحو ذلك.

وقيل: الهمَّاز: بالقول، واللمَّاز: بالفعل.

فيزدري الناس، وينتقصهم. قال تعالىٰ: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١].

وقيل: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾: أي: طعَّان مِعْياب.

وقيل: الهُمَزَة: في وجهه، واللُّمَزَة: من خلفه.

وقيل غير ذلك.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾: أي: من صفة هذا الهمَّاز اللمَّاز؛ أنه جمع مالًا كثيرًا، بعضه علىٰ بعض، وأحصىٰ عدده، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٨].

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾: أي: يظن لجهله أن جمعه المال سوف يخلده في هذه الدنيا، ولايدري أنما هو وبال عليه.

﴿كَلَّا﴾: أي: حقًّا ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب، فليس ماله بمخلد له، ولا بنافع له.

﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾: أي: لَيُلْقَيَنَّ هذا الذي جمع مالًا فعدده في الحطمة، وهي نار جهنم، وسميت بالحطمة؛ لأنها تحطم من يلقىٰ فيها؛ لشدة حرارتها وهولها، أعاذنا الله منها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾: تعظيم لها، وتهويل لشأنها.

ثم فسرها بقوله:

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾: التي تتقد ولا تنطفئ، ووقودها الناس والحجارة كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤].

وقوله: ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾: أضافها الله إلىٰ نفسه، إضافة ملك وتصرف.

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾: أي: تحرقهم، وتصل إلىٰ أفئدتهم وهم أحياء؛ لشدة حرارتها.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾: أي: ومع شدة حرارتها هي مطبقة عليهم، وهم محبوسون فيها، قد يئسوا من الخروج منها.

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾: قيل: في عَمَد من حديد.

وقيل: في أبواب تغلق عليهم.

وقيل: في سلاسل.

وقيل: يوضعون في مثل الصهاريج وتكون ممددة.

وقيل: في قيود طوال.

وقيل غير ذلك.

نسأل الله السلامة والعافية، ونعوذ بالله من النار وبئس القرار.

آخر تفسير سورة (الهمزة)، والحمد لله.

سورة الفيل

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١-٥].

سورة الفيل مكية.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾: أي: أما رأيت من قدرة الله وعظمته ما فعله بأصحاب الفيل؛ أي: أبرهة وجيشه الذين كادوا لبيت الله الحرام وأرادوا غزوه وتدميره ومحو أثره من الأرض، وتجهزوا لذلك بجيش عظيم، واستصحبوا معهم الفيلة؛ لهدم الكعبة.

فأهلكهم الله ودمرهم شر تدمير.

وهذه من النعم التي امتن الله بها علىٰ قريش، حيث صرف عنهم أصحاب الفيل وأهلكهم وخيب سعيهم، وكانوا قومًا نصارىٰ، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالًا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ؛ فإنه في ذلك العام ولد علىٰ أشهر الأقوال.

وفي البخاري (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥) عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ

حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ..» الحديث.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾: أي: أن الله تعالىٰ جعل كيدهم في ضلال وخيبة، ولم يفلحوا أبدا.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾: أي: أرسل عليهم طيرًا كثيرة، أتت جماعات يتبع بعضها بعضا.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾: أي: ترميهم بحجارة من طين متحجر، كما قال تعالىٰ: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣].

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾: أي: أهلكهم الله ودمرهم حتىٰ جعلهم كالتبن من الزرع أكلته البهائم وداسته.

بعض ما ذُكر في قصة أصحاب الفيل:

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: (وَهَذِهِ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِيجَازِ وَالِاخْتِصَارِ وَالتَّقْرِيبِ: قَدْ تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ أَنَّ ذَا نُوَاسٍ، وَكَانَ آخِرَ مُلُوكِ حِمْيَرَ وَكَانَ مشركا وهو الَّذِي قَتَلَ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ، وَكَانُوا نَصَارَىٰ وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا دَوْسُ ذُو ثَعْلَبَانِ فَذَهَبَ فَاسْتَغَاثَ بِقَيْصَرَ مَلَكِ الشَّامِ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، فَكَتَبَ لَهُ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ مَلَكِ الْحَبَشَةِ لِكَوْنِهِ أَقْرَبَ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثَ مَعَهُ أَمِيرَيْنِ أَرِيَاطَ وَأَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَاحِ أَبَا يَكْسُومَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَدَخَلُوا الْيَمَنَ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَاسْتَلَبُوا الْمُلْكَ مِنْ حِمْيَرَ وَهَلَكَ ذُو نُوَاسٍ غَرِيقًا فِي الْبَحْرِ.

وَاسْتَقَلَّ الْحَبَشَةُ بِمُلْكِ الْيَمَنِ وَعَلَيْهِمْ هَذَانِ الْأَمِيرَانِ أَرِيَاطُ وَأَبْرَهَةُ، فَاخْتَلَفَا فِي أَمْرِهِمَا وَتَصَاوَلَا وَتَقَاتَلَا وَتَصَافَّا فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: إِنَّهُ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَىٰ

اصْطِدَامِ الْجَيْشَيْنِ بَيْنَنَا وَلَكِنْ ابْرُزْ إِلَيَّ وَأَبْرُزُ إِلَيْكَ، فَأَيُّنَا قَتَلَ الْآخَرَ اسْتَقَلَّ بَعْدَهُ بِالْمُلْكِ، فَأَجَابَهُ إِلَىٰ ذَلِكَ فَتَبَارَزَا وَخَلْفُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَنَاةٌ، فَحَمَلَ أَرِيَاطُ عَلَىٰ أَبْرَهَةَ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَفَمَهُ وَشَقَّ وَجْهَهُ، وَحَمَلَ عَتَوْدَةُ مَوْلَىٰ أَبْرَهَةَ عَلَىٰ أَرِيَاطَ فَقَتَلَهُ وَرَجَعَ أَبْرَهَةُ جَرِيحًا فَدَاوَىٰ جُرْحَهُ فَبَرِأَ وَاسْتَقَلَّ بِتَدْبِيرِ جَيْشِ الْحَبَشَةِ بِالْيَمَنِ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ يَلُومُهُ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ وَيَتَوَعَّدُهُ وَيَحْلِفُ لَيَطَأَنَّ بِلَادَهُ وَيَجِزَّنَّ نَاصِيَتَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبْرَهَةُ يَتَرَقَّقُ لَهُ وَيُصَانِعُهُ وَبَعَثَ مع رسوله بهدايا وتحف وبجراب فيه مِنْ تُرَابِ الْيَمَنِ.

وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ، فَأَرْسَلَهَا مَعَهُ وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ لِيَطَأَ الْمَلِكُ عَلَىٰ هَذَا الْجِرَابِ فَيَبَرُّ قَسَمَهُ، وَهَذِهِ نَاصِيَتِي قَدْ بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ أَعْجَبَهُ مِنْهُ وَرَضِيَ عَنْهُ وَأَقَرَّهُ عَلَىٰ عَمَلِه.

وَأَرْسَلَ أَبْرَهَةُ يَقُولُ لِلنَّجَاشِيِّ إِنِّي سَأَبْنِي لَكَ كَنِيسَةً بِأَرْضِ الْيَمَنِ لَمْ يُبْنَ قَبْلَهَا مِثْلُهَا، فَشَرَعَ فِي بِنَاءِ كَنِيسَةٍ هَائِلَةٍ بِصَنْعَاءَ رَفِيعَةَ الْبِنَاءِ عَالِيَةَ الْفِنَاءِ مُزَخْرَفَةَ الْأَرْجَاءِ سَمَّتْهَا الْعَرَبُ الْقُلَّيْسَ لِارْتِفَاعِهَا لِأَنَّ النَّاظِرَ إِلَيْهَا تَكَادُ تَسْقُطُ قُلْنُسُوَتُهُ عَنْ رَأْسِهِ مِنَ ارْتِفَاعِ بِنَائِهَا، وَعَزَمَ أَبْرَهَةُ الْأَشْرَمُ عَلَىٰ أَنْ يَصْرِفَ حَجَّ الْعَرَبِ إِلَيْهَا كَمَا يُحَجُّ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ بِمَكَّةَ، وَنَادَىٰ بِذَلِكَ فِي مَمْلَكَتِهِ فَكَرِهَتِ الْعَرَبُ الْعَدْنَانِيَّةُ وَالْقَحْطَانِيَّةُ ذَلِكَ، وَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ لِذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّىٰ قَصَدَهَا بَعْضُهُمْ وَتَوَصَّلَ إِلَىٰ أَنْ دَخَلَهَا لَيْلًا، فَأَحْدَثَ فِيهَا وَكَرَّ رَاجِعًا، فَلَمَّا رَأَىٰ السَّدَنَةُ ذَلِكَ الحدث رفعوا أمره إِلَىٰ مَلِكِهِمْ أَبْرَهَةَ، وَقَالُوا لَهُ إِنَّمَا صَنَعَ هَذَا بَعْضُ قُرَيْشٍ غَضَبًا لِبَيْتِهِمُ الَّذِي ضَاهَيْتَ هَذَا بِهِ، فَأَقْسَمَ أَبْرَهَةُ لَيَسِيرَنَّ إِلَىٰ بَيْتِ مَكَّةَ وَلَيُخَرِّبَنَّهُ حَجَرًا حَجَرًا.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ فِتْيَةً مِنْ قُرَيْشٍ دَخَلُوهَا فَأَجَّجُوا فِيهَا نَارًا وَكَانَ

يَوْمًا فِيهِ هَوَاءٌ شَدِيدٌ، فاحترقت وسقطت إلىٰ الأرض، فتأهب أبرهة لذلك وسار فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ عَرَمْرَمٍ لِئَلَّا يَصُدَّهُ أَحَدٌ عَنْهُ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ فِيلًا عَظِيمًا كَبِيرَ الْجُثَّةِ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ، يُقَالُ لَهُ مَحْمُودٌ، وَكَانَ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ لِذَلِكَ، وَيُقَالُ كَانَ مَعَهُ أَيْضًا ثَمَانِيَةُ أَفْيَالٍ، وَقِيلَ اثنا عشر فيلا غيره فالله أَعْلَمُ. يَعْنِي لِيَهْدِمَ بِهِ الْكَعْبَةَ بِأَنْ يَجْعَلَ السَّلَاسِلَ فِي الْأَرْكَانِ وَتُوضَعَ فِي عُنُقِ الْفِيلِ ثُمَّ يُزْجَرَ لِيُلْقِيَ الْحَائِطَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلَمَّا سَمِعَتِ الْعَرَبُ بِمَسِيرِهِ أَعْظَمُوا ذَلِكَ جِدًّا وَرَأَوْا أَنَّ حَقًا عَلَيْهِمُ الْمُحَاجَبَةُ دُونَ الْبَيْتِ، وَرَدُّ من أراده بكيد.

فخرج إليه رجل مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْيَمَنِ وَمُلُوكِهِمْ يُقَالُ لَهُ ذُو نَفْرٍ، فَدَعَا قَوْمَهُ وَمَنْ أَجَابَهُ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ إِلَىٰ حَرْبِ أَبْرَهَةَ وَجِهَادِهِ عَنْ بيت الله، وما يريده مِنْ هَدْمِهِ وَخَرَابِهِ، فَأَجَابُوهُ وَقَاتَلُوا أَبْرَهَةَ فَهَزَمَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ اللهُ ﷻ مِنْ كَرَامَةِ الْبَيْتِ وَتَعْظِيمِهِ وَأُسِرَ ذُو نَفْرٍ، فَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ ثُمَّ مَضَىٰ لِوَجْهِهِ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِأَرْضِ خثعم اعترض له نفيل بن حبيب الخثعمي فِي قَوْمِهِ شَهْرَانُ وَنَاهِسُ فَقَاتَلُوهُ، فَهَزَمَهُمْ أَبْرَهَةُ وَأُسِرَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ فَأَرَادَ قَتْلَهُ ثُمَّ عَفَا عَنْهُ وَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ لِيَدُلَّهُ فِي بِلَادِ الْحِجَازِ.

فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرْضِ الطَّائِفِ خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا ثَقِيفٌ وَصَانَعُوهُ خِيفَةً عَلَىٰ بَيْتِهِمْ الَّذِي عِنْدَهُمْ الَّذِي يُسَمُّونَهُ اللَّاتَ، فَأَكْرَمَهُمْ وَبَعَثُوا مَعَهُ أَبَا رُغَالٍ دَلِيلًا، فَلَمَّا انْتَهَىٰ أَبْرَهَةُ إِلَىٰ الْمُغَمْسِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ نَزَلَ بِهِ. وَأَغَارَ جَيْشُهُ عَلَىٰ سَرْحِ أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الْإِبِلِ وَغَيْرِهَا فَأَخَذُوهُ، وَكَانَ فِي السَّرْحِ مِائَتَا بَعِيرٍ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ الَّذِي أَغَارَ عَلَىٰ السَّرْحِ بِأَمْرِ أَبْرَهَةَ أَمِيرِ الْمُقَدِّمَةِ، وَكَانَ يقال له الأسود بن مقصود فَهَجَاهُ بَعْضُ الْعَرَبِ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَبَعَثَ أَبْرَهَةُ حُنَاطَةَ الْحِمْيَرِيَّ إِلَىٰ مَكَّةَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِأَشْرَفِ قُرَيْشٍ وَأَنْ يُخْبِرَهُ أَنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَجِئْ لِقِتَالِكُمْ إِلَّا أَنْ

تَصُدُّوهُ عَنِ الْبَيْتِ، فَجَاءَ حُنَاطَةُ فَدُلَّ عَلَىٰ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ وَبَلَّغَهُ عَنْ أَبْرَهَةَ مَا قَالَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: وَاللهِ مَا نُرِيدُ حَرْبَهُ وَمَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْ طَاقَةٍ، هَذَا بَيْتُ اللهِ الْحَرَامُ وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ فَإِنْ يَمْنَعْهُ مِنْهُ فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمُهُ، وَإِنْ يخلي بينه وبينه فو الله مَا عِنْدَنَا دَفْعٌ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ حُنَاطَةُ فَاذْهَبْ مَعِي إِلَيْهِ، فَذَهَبَ مَعَهُ.

فَلَمَّا رَآهُ أبرهة أجله، وكان عبد المطلب رجلًا جسيمًا حَسَنَ الْمَنْظَرِ، وَنَزَلَ أَبْرَهَةُ عَنْ سَرِيرِهِ وَجَلَسَ مَعَهُ عَلَىٰ الْبِسَاطِ وَقَالَ لِتُرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ ما حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ لِلتُّرْجُمَانِ: إِنَّ حَاجَتِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ الْمَلِكُ مِائَتَيْ بَعِيرٍ أَصَابَهَا لِي، فَقَالَ أَبْرَهَةُ لِتُرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ لَقَدْ كُنْتَ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُكَ، ثُمَّ قَدْ زَهِدْتُ فِيكَ حِينَ كَلَّمْتَنِي، أَتُكَلِّمُنِي فِي مِائَتَيْ بَعِيرٍ أَصَبْتُهَا لَكَ وَتَتْرُكُ بَيْتًا هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ قَدْ جِئْتُ لِهَدْمِهِ لَا تُكَلِّمُنِي فِيهِ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَيَمْنَعُهُ.

قَالَ: مَا كَانَ لِيَمْتَنِعَ مِنِّي. قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، وَيُقَالُ إِنَّهُ ذَهَبَ مَعَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَعَرَضُوا عَلَىٰ أَبْرَهَةَ ثُلُثَ أَمْوَالِ تِهَامَةَ عَلَىٰ أَنْ يَرْجِعَ عَنِ الْبَيْتِ، فَأَبَىٰ عَلَيْهِمْ وَرَدَّ أَبْرَهَةُ عَلَىٰ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِبِلَهُ، وَرَجَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَىٰ قُرَيْشٍ فَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ والتحصن في رؤوس الْجِبَالِ تَخَوُّفًا عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ، ثُمَّ قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَأَخَذَ بِحَلْقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ، وَقَامَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَدْعُونَ اللهَ ويستنصرون علىٰ أبرهة وجنده، فقال عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ آخِذٌ بِحَلْقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ:

لا هُـمَّ إِنَّ المَـرءَ يَمْنـعُ رَحْلَـهُ فَامنَـع حِلَالَـك
لَا يَغْـلِـبَنَّ صَلِـيبُهُم ومِحَالُهـم أَبَـدًا مِحَالَـكَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَرْسَلَ عَبْدُ الْمُطَّلِب حَلقَةَ البَابِ ثُمَّ خَرَجُوا إِلَىٰ رُؤُوسِ

الجِبَالِ، وَذَكَر مُقَاتِلُ بنُ سُلَيمَانَ أَنَّهُمْ تَرَكُوا عِنْدَ الْبَيْتِ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ لَعَلَّ بَعْضُ الْجَيْشِ يَنَالُ مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ حَقٍّ فينتقم الله منهم، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبْرَهَةُ تَهَيَّأَ لِدُخُولِ مَكَّةَ وَهَيَّأَ فِيلَهُ، وَكَانَ اسْمُهُ مَحْمُودًا، وَعَبَّأَ جَيْشَهُ فَلَمَّا وَجَّهُوا الْفِيلَ نَحْوَ مَكَّةَ أَقْبَلَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ حَتَّىٰ قَامَ إِلَىٰ جَنْبِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِهِ وَقَالَ:

ابْرُكْ مَحْمُودُ وَارْجِعْ رَاشِدًا مِنْ حَيْثُ جِئْتَ، فَإِنَّكَ فِي بَلَدِ اللهِ الْحَرَامِ ثُمَّ أَرْسَلَ أُذُنَهُ فَبَرَكَ الْفِيلُ وَخَرَجَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ يَشْتَدُّ حَتَّىٰ أُصْعِدَ فِي الْجَبَلِ، وَضَرَبُوا الْفِيلَ لِيَقُومَ فَأَبَىٰ، فَضَرَبُوا فِي رَأْسِهِ بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم في مراقه فنزعوه بِهَا لِيَقُومَ فَأَبَىٰ، فَوَجَّهُوهُ رَاجِعًا إِلَىٰ الْيَمَنِ فَقَامَ يُهَرْوِلُ، وَوَجَّهُوهُ إِلَىٰ الشَّامِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ وَوَجَّهُوهُ إِلَىٰ الْمَشْرِقِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَوَجَّهُوهُ إِلَىٰ مَكَّةَ فَبَرَكَ.

وَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا مِنَ الْبَحْرِ أَمْثَالَ الْخَطَاطِيفِ وَالْبَلَسَانِ مَعَ كُلِّ طَائِرٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ يَحْمِلُهَا: حَجَرٌ فِي مِنْقَارِهِ وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ أَمْثَالُ الْحُمُّصِ والعدس ولا يصيب مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا هَلَكَ. وَلَيْسَ كُلُّهُمْ أَصَابَتْ وَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَبْتَدِرُونَ الطَّرِيقَ وَيَسْأَلُونَ عَنْ نُفَيْلٍ لِيَدُلَّهُمْ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، هَذَا وَنُفَيْلٌ عَلَىٰ رَأْسِ الْجَبَلِ مَعَ قُرَيْشٍ وَعَرَبِ الْحِجَازِ يَنْظُرُونَ مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ مِنَ النِّقْمَةِ، وَجَعَلَ نفيل يقول:

أيــن المفــرُّ والإلــهُ الطَّالــب ... والأشرمُ المغلوبُ ليسَ الْغَالِبْ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَقَالَ نُفَيْلٌ فِي ذلك أيضًا:

أَلَا حُيِّيــتِ عَنَّــا يَــا رُدَيْنَــا ... نَعِمْنَاكُــمْ مَــعَ الإصبــاح عينــا

رُدَينــة لَــوْ رَأَيْــتِ وَلَا تَرَيْــهِ ... لَــدَىٰ جَنْــبِ الْمُحَصَّــبِ مَــا رَأَيْنَــا

إِذًا لَعَذَرْتِنِي وَحَمِدْتِ أَمْرِي وَلَمْ تأس عَلَىٰ مَا فَاتَ بَيْنَا
حَمِدْتُ اللهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَىٰ عَلَيْنَا
فَكُلُّ القوم تسأل عَنْ نُفَيْلٍ كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا

وَذَكَرَ الواقدي بإسناده أَنَّهُمْ لَمَّا تَعْبَئُوا لِدُخُولِ الْحَرَمِ وَهَيَّئُوا الْفِيلَ جَعَلُوا لَا يَصْرِفُونَهُ إِلَىٰ جِهَةٍ مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ إِلَّا ذَهَبَ فِيهَا، فَإِذَا وَجَّهُوهُ إِلَىٰ الْحَرَمِ رَبَضَ وَصَاحَ، وَجَعَلَ أَبْرَهَةُ يَحْمِلُ عَلَىٰ سَائِسِ الْفِيلِ وَيَنْهَرُهُ وَيَضْرِبُهُ لِيَقْهَرَ الْفِيلَ عَلَىٰ دُخُولِ الْحَرَمِ، وَطَالَ الْفَصْلُ فِي ذَلِكَ، هَذَا وعبد المطلب وجماعة

من أشراف مكة فيهم المطعم بن عدي وعمرو بن عائد بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرٍو الثقفي علىٰ حراء ينظرون مَا الْحَبَشَةُ يَصْنَعُونَ، وَمَاذَا يَلْقُونَ مِنْ أَمْرِ الْفِيلِ وَهُوَ الْعَجَبُ الْعُجَابُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ أَيْ قِطَعًا قِطَعًا صُفْرًا دُونَ الْحَمَامِ وَأَرْجُلُهَا حُمْرٌ، ومع كل طائر ثلاثة أَحْجَارٍ وَجَاءَتْ فَحَلَّقَتْ عَلَيْهِمْ وَأَرْسَلَتْ تِلْكَ الْأَحْجَارَ عَلَيْهِمْ فَهَلَكُوا.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ جَاءُوا بِفِيلَيْنِ فَأَمَّا مَحْمُودٌ فَرَبَضَ وَأَمَّا الْآخَرُ فَشَجُعَ فَحُصِبَ.

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: كَانَ مَعَهُمْ فِيلَةٌ فَأَمَّا مَحْمُودٌ وَهُوَ فِيلُ الْمَلِكِ فَرَبَضَ لِيَقْتَدِيَ بِهِ بَقِيَّةُ الْفِيلَةِ، وَكَانَ فِيهَا فِيلٌ تَشَجَّعَ فَحُصِبَ فَهَرَبَتْ بَقِيَّةُ الْفِيلَةِ. وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ وَغَيْرُهُ. لَيْسَ كُلُّهُمْ أَصَابَهُ الْعَذَابُ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ بَلْ مِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ سَرِيعًا وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ يَتَسَاقَطُ عُضْوًا عُضْوًا وهم هاربون، وكان أبرهة ممن تساقط عضوا عضوا حتىٰ مات ببلاد خثعم وقال ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجُوا يَتَسَاقَطُونَ بِكُلِّ طَرِيقٍ وَيَهْلَكُونَ عَلَىٰ كُلِّ مَنْهَلٍ وَأُصِيبَ أَبْرَهَةُ فِي جَسَدِهِ وَخَرَجُوا

بِهِ مَعَهُمْ يَسْقُطُ أُنْمُلَةً أُنْمُلَةً حَتَّىٰ قَدِمُوا بِهِ صَنْعَاءَ، وَهُوَ مِثْلُ فَرْخِ الطَّائِرِ، فَمَا مَاتَ حَتَّىٰ انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ فِيمَا يَزْعُمُونَ.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ قُرَيْشًا أَصَابُوا مَالًا جَزِيلًا مِنْ أَسْلَابِهِمْ وَمَا كَانَ مَعَهُمْ، وَأَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَصَابَ يَوْمَئِذٍ من الذهب ما ملأ حفرة.

قال ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ أَنَّهُ حُدِّثَ أَنَّ أَوَّلَ مَا رُؤِيَتِ الْحَصْبَةُ وَالْجُدَرِيُّ بِأَرْضِ الْعَرَبِ ذَلِكَ الْعَامَ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَا رُؤِيَ بِهِ مَرَائِرُ الشَّجَرِ الْحَرْمَلِ وَالْحَنْظَلِ وَالْعُشْرِ ذَلِكَ الْعَامُ، وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ مِنْ طَرِيقٍ جَيِّدٍ) اهـ

آخر تفسير سورة (الفيل)، والحمد لله.

سورة قريش

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [قريش: ١-٤].

سورة قريش مكية.

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾: ذكر بعض المفسرين أن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها؛ أي: حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ أي: لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين، واستقامة مصالحهم، ومن ذلك رحلتهم في الشتاء والصيف للتجارة.

وقيل: إن الله ﷻ امتن علىٰ قريش بما أنعم عليهم من النعم والأمن، وما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلىٰ اليمن، وفي الصيف إلىٰ الشام للتجارة ونحو ذلك، ثم يرجعون إلىٰ بلدهم آمنين في أسفارهم، لايعترضهم أحد؛ لعظمهم عند الناس؛ لكونهم سكان حرم الله، فمن عرفهم احترمهم، بل من سار معهم صار آمنًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]

وقال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا

مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل: ١١٢-١١٣]، وهذه القرية هي مكة.

﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾: أي: ليوحدوا رب هذا البيت، ويخلصوا له العبادة، وليشكروه، كما جعل لهم حرما آمنًا وبيتًا محرمًا، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١].

و﴿رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾: المراد به البيت العتيق، الكعبة المشرفة، وخصه الله بالربوبية لفضله وشرفه، وعظيم منزلته، وإلا فالله هو رب كل شيء.

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾: أي: رب هذا البيت هو الذي أطعمهم من جوع، وأنعم عليهم بالرزق ورغد العيش.

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾: أي: و تفضَّل عليهم بالأمن من الخوف، بما وضع في قلوب العرب من تعظيم الحرم، وتعظيم سكانه.

ورغد العيش، والأمن من الخوف، من أعظم النعم الدنيوية؛ فنحمد الله علىٰ نعمه الظاهرة والباطنة.

آخر تفسير سورة (قريش)، والحمد لله.

سورة الماعون

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ١-٧].

سورة الماعون مكية، وهذا قول الجمهور.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾: أي: أرأيت الذي يكذب بالبعث والجزاء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وكانوا يستنكرون البعث ويستبعدونه كما قال تعالىٰ: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢]

وفي البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥) عَنْ خَبَّابٍ قَالَ: كُنْتُ قَيْنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَىٰ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، قَالَ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ. فَقُلْتُ: لَا أَكْفُرُ حَتَّىٰ يُمِيتَكَ اللهُ ثُمَّ تُبْعَثَ. قَالَ: دَعْنِي حَتَّىٰ أَمُوتَ وَأُبْعَثَ فَسَأُوتَىٰ مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ. فَنَزَلَتْ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٧-٧٨].

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾: أي: فذلك الذي يكذب بالدين هو الذي يقهر اليتيم، ويظلمه، ويدفعه بعنف وشدة، وقد نهىٰ الله عن قهر اليتيم وظلمه؛ فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحىٰ: ٩].

واليتيم: هو الصغير الذي مات أبوه، وهو دون سن البلوغ.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: أي: ومن صفات هذا المكذب بالبعث؛ أنه لا يحض غيره علىٰ طعام المسكين، كما قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧-١٨].

وإذا كان لا يحض غيره، فمن باب أولىٰ أنه بنفسه لا يطعم المسكين.

والمسكين: هو الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾: أي: الذين هم من أهل الصلاة، ولكنهم مضيعون لها، لا يأتون بها علىٰ وجهها؛ بل هم كما قال تعالىٰ:

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: أي: مضيعون لها، تاركون لوقتها، مفوتون لأركانها.

والوعيد هنا لمن سها عن الصلاة، وأما السهو في الصلاة؛ فهذا واقع من كل أحد، وقد وقع من النبي ﷺ.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾: أي: في صلاتهم وجميع أعمالهم.

ومن صفات المنافقين الكسل في الصلاة وثقلها عليهم، ومراءاة الناس في ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وفي البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧) عن جُنْدب قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**».

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾: أي: ويمنعون إعطاء الشيء الذي يتعاطاه الناس بينهم علىٰ سبيل العارية أو الهبة؛ كالإناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك.

وقيل: يمنعون الزكاة.

وقيل: الطاعة.

وقيل المعروف.

وقيل غير ذلك.

فهؤلاء ما أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلىٰ خلقه حتىٰ ولا بالشيء اليسير.

آخر تفسير سورة (الماعون)، والحمد لله.

سورة الكوثر

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١-٣].

سورة الكوثر مكية، وهذا قول الجمهور.

وقيل: مدنية.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾: أي: إنا أعطيناك الخير الكثير، ومنه نهر الكوثر.

وفي مسلم (٤٠٠) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَىٰ إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**». فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾. ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**». فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ**».

ومما جاء في الكوثر وصفته:

وفي البخاري (٤٩٦٤) عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ السَّمَاءِ،

قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَىٰ نَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ».

وفي مسند أحمد (١٣٣٠٦) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكَوْثَرِ، فَقَالَ: «نَهَرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَفِيهِ طَيْرٌ كَأَعْنَاقِ الْجُزُرِ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ تِلْكَ لَطَيْرٌ نَاعِمَةٌ. فَقَالَ: «أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا يَا عُمَرُ».

وفي البخاري (٤٩٦٥) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] قَالَتْ: (نَهَرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ).

وفي مسند أحمد (٥٣٥٥) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْكَوْثَرُ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْمَاءُ يَجْرِي عَلَىٰ اللُّؤْلُؤِ، وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ».

والحوض هو: مجمع ماء عظيم يوضع في أرض المحشر يوم القيامة ترد عليه أمة محمد ﷺ.

وهو خاص بنبينا محمد ﷺ.

وفي البخاري (٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩١) عن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا..» الحديث.

والفَرَط: هو الذي يسبق إلىٰ الحوض.

وفي حديث أنس المتقدم عند مسلم: «هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وهذا الحوض يأتيه ماؤه من نهر الكوثر الذي في الجنة، يصب من الكوثر ميزابان فيه، كما في مسلم (٢٣٠٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ..» الحديث.

ومما جاء في صفة الحوض:

ما رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النَّبي ﷺ قال: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ؛ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا».

وفي لفظ لمسلم: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ الْوَرِقِ».

وحديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم قال: قلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَىٰ أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ».

وفي الصحيحين عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

وحديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم مرفوعًا: «يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ؛ أَحَدُهُمَا: مِنْ ذَهَبٍ، وَالآخَرُ مِنْ وَرِقٍ».

ومعنىٰ (يَغُتُّ): أي يصب.

والحوض موجود الآن، كما في البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّىٰ عَلَىٰ أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَىٰ حَوْضِي الْآنَ..**» الحديث.

وفي البخاري (٧٣٣٥)، ومسلم (١٣٩١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَىٰ حَوْضِي**».

ومما جاء في المطرودين عن الحوض يوم القيامة -أعاذنا الله-:

جاء في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَك**».

وفي مسلم (٢٤٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَىٰ الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**»، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**»، قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ أَلا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلا هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا**».

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ سَهْلا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ مَنْ وَرَدَ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا وَلَيَرِدَنَّ**

عَلَيَّ أُقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»، قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَ النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلا يَقُولُ قَالَ فَقُلْتُ نَعَمْ قَالَ وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَىٰ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيقُول -أي: النبي ﷺ-: «إِنَّهُمْ مِنِّي»؛ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: «سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي».

وفي الصحيحين عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَذُودَنَّ رِجَالا عَنْ حَوْضِي كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنْ الإِبِلِ عَنِ الْحَوْضِ».

وفي مسند أحمد (١٤٤٤١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: «أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ». قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟ قَالَ: «أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي..» الحديث.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في التذكرة (٢٣٣): (قال علماؤنا رحمهم الله أجمعين: فكل من ارتدّ عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج علىٰ اختلاف فرقها، والروافض علىٰ تباين ضلالها، والمعتزلة علىٰ أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع) اهـ

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾: أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته؛ فصل لربك الصلاة المكتوبة والنافلة، تامة

أركانها وشروطها.

وقيل: المراد صلاة العيد.

﴿وَٱنْحَرْ﴾: أي: وتقرب إليه بأنواع النحر: كالهدي، والأضحية، والعقيقة، ونحو ذلك.

وإنما خص الله هاتين العبادتين بالذكر؛ لأنهما من أجل العبادات وأفضلها.

فالصلاة تتضمن خضوع القلب والجوارح لله، والذبح فيه التقرب إلىٰ الله بالنحائر، وإخراج المال الذي جبلت النفوس علىٰ محبته والشح به.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾: أي: مبغضك.

﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾: أي: المقطوع من كل خير، والمقطوع عمله وذكره.

وما جاء أنهم كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا: بُتِر.

فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا: بُتِر محمد؛ فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، لايثبت.

آخر تفسير سورة (الكوثر)، والحمد لله.

سورة الكافرون

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١-٦].

سورة الكافرون مكية.

وتسمىٰ هذه السورة بسورة الإخلاص الثانية؛ لما فيها من الدعوة إلىٰ إخلاص العبادة لله وحده، والبراءة من أعمال المشركين.

وقد شرعت قراءتها مع سورة الإخلاص في ركعتي الفجر، كما في مسلم (٧٢٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قَرَأَ فِي رَكعَتَي الفَجرِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾.

وفي ركعتي المغرب كما عند النسائي (٩٩٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رَمَقتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِشرِينَ مَرَّةً يَقرَأُ فِي الرَّكعَتَينِ بَعدَ المَغرِبِ، وَفِي الرَّكعَتَينِ قَبلَ الفَجرِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾.

والحديث صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (٣٣٢٨)، وبعض أهل العلم يعل الحديث، والله أعلم.

وفي الوتر، كما عند النسائي (١٦٩٩) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

كَانَ يُوتِرُ بِثَلَاثِ رَكَعَاتٍ، كَانَ يَقْرَأُ فِي الْأُولَىٰ بِـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ بِـ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وَفِي الثَّالِثَةِ بِـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَيَقْنُتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ، فَإِذَا فَرَغَ قَالَ عِنْدَ فَرَاغِهِ: «**سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ**». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يُطِيلُ فِي آخِرِهِنَّ.

وفي ركعتي الطواف، كما في مسلم (١٢١٨) من حديث جابر الطويل في الحج، وفيه: (ثُمَّ نَفَذَ إِلَىٰ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَقَرَأَ: ﴿وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ: وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾).

والحكمة من قراءة هاتين السورتين؛ لاشتمالهما علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة؛ فسورة (قل هو الله أحد) اشتملت علىٰ توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

وسورة (قل يا أيها الكافرون) تضمنت توحيد الألوهية، وأن العبادة لله وحده لاشريك له.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: أي: قل للكافرين معلنًا ومصرحًا.

والكافرون: يشمل جميع الكفار، وإن كان المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش.

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: أي: أتبرأ مما تعبدون مِن دون الله من الأصنام والأوثان ونحو ذلك.

وذكر المفسرون أن كفار قريش لجهلهم دعوا النبي ﷺ إلىٰ عبادة أصنامهم سنة، وهم يعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر نبيه ﷺ فيها أن يتبرأ

من دينهم بالكلية.

ومن عقيدة المؤمن: البراءة من الشرك وأهله، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: وهو الله وحده لا شريك له.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾: أي: ولا أعبد عبادتكم، وإنما أعبد الله وحده علىٰ الوجه الذي يحبه ويرضاه.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: أي: لاتعبدون الله، ولا تقتدون بأوامره وشرعه.

وقيل: إن المراد بقوله تعالىٰ: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ في الحال، وقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ في المستقبل.

فنفىٰ ذلك عنه وعنهم في الحال والاستقبال.

وقيل: إن المراد التأكيد، كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦] وكقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٦-٧].

وقيل غير ذلك.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾: أي: لكم دينكم الباطل الذي ارتضيتموه لأنفسكم، ولي ديني الحق الذي أدعو إليه.

فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١] وقال: ﴿لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥]، وقال: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤].

آخر تفسير سورة (الكافرون)، والحمد لله.

سورة النصر

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر: ١-٣].

سورة النصر مدنية بالإجماع.

وجاء أنها آخر ما أنزل من القرآن، كما في صحيح مسلم (٣٠٢٤) عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: «**نَعَمْ، إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ**»، قَالَ: صَدَقْتَ.

وفي هذه السورة إشارة إلىٰ قرب أجل النبي ﷺ؛ فأعلمه الله بذلك كما في البخاري (٤٢٩٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَىٰ مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ. قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ، قَالَ: وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾؟ حَتَّىٰ خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ، وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ عَلَيْنَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا. فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَعْلَمَهُ اللهُ لَهُ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ فَتْحُ مَكَّةَ فَذَاكَ عَلَامَةُ

أَجَلِكَ. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾. قَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ.

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾: أي: إذا جاء نصر الله لهذا الدين، وحدث فتح مكة.

والفتح الأول: صلح الحديبية: حيث سمَّاه الله فتحا؛ فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وذلك لاعتراف قريش بالنبي ﷺ، ومصالحتهم إياه، وكان ذلك في السنة السادسة للهجرة.

والثاني: فتح مكة: وكان في السنة الثامنة للهجرة.

ومن الفتح أيضا؛ مجيء أهل اليمن، كما في مسند أبي يعلىٰ (٢٥٠٥) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ بالحديبية، إذ قال: «**اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، قَدْ جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ**»، قيل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «**قَوْمٌ رقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ، لَيِّنَةٌ طِبَاعُهُمْ، الإيمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**».

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾: أي: ورأيت الناس يدخلون في دين الإسلام وفدًا بعد وفد، وذلك أن العرب كانت تقول: اتركوه هو وقومه؛ فإن ظهر عليهم فهو نبي؛ فلما كان فتح مكة عرفوا صدقه، وزالت عنهم الشبهات؛ فبادروا للدخول في دين الله أفواجًا، كما في البخاري (٤٣٠٢) عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلِمَةَ قَالَ: (قَالَ لِي أَبُو قِلَابَةَ: أَلَا تَلْقَاهُ فَتَسْأَلَهُ؟ قَالَ: فَلَقِيتُهُ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: كُنَّا بِمَاءٍ مَمَرَّ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ، فَنَسْأَلُهُمْ: مَا لِلنَّاسِ؟ مَا لِلنَّاسِ؟ مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ، أَوْ: أَوْحَىٰ اللهُ بِكَذَا. فَكُنْتُ

أَحْفَظُ ذَلِكَ الْكَلَامَ، وَكَأَنَّمَا يُغْرَىٰ فِي صَدْرِي، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلَامِهِمُ الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ؛ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ. فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ..) الحديث.

فتتابعت الوفود في العام التاسع حتىٰ سُمِّي عام الوفود، ثم تتابعت أيضا في العام العاشر، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ونصر الله دينه، وأعزَّ أولياءه، وأذل الله الكفر وأهله.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾: أمر الله نبيه ﷺ بتسبيحه وتنزيهه عن كل نقص، وحمده شكرًا علىٰ نعمة النصر والفتح وإتمام هذا الدين، وأمره بكثرة التوبة والاستغفار قبل موته، وقد امتثل ﷺ ذلك؛ فكان يكثر التسبيح والاستغفار في ركوعه وسجوده، كما في البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**». يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ.

وقد تقدم في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن الله ﷻ أعلم نبيه ﷺ بقرب أجله.

والذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر، رضي الله عنهم أجمعين، من أنه قد أُمرنا إذا نصرنا الله، وفتح علينا المدائن والحصون؛ أن نحمد الله ونستغفره؛ معنىٰ صحيح.

وفي أمر الله نبيه ﷺ بالتسبيح والاستغفار؛ إشارة إلىٰ أن النصر يستمر لهذا الدين، ويزداد عند حصول التسبيح والاستغفار من رسوله ﷺ؛ فإن هذا من الشكر، والله تعالىٰ يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، فلايزال النصر مستمرا لهذا الدين، حتىٰ

وصل الإسلام إلىٰ شتَّىٰ بقاع الدنيا.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾: أي: يقبل توبة عباده، ويغفر لهم، كما قال تعالىٰ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

فمن أسماء الله التواب، الذي يتوب علىٰ عباده، بل ويبدل سيئاتهم حسنات، كما قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧٠-٧١].

آخر تفسير سورة (النصر)، والحمد لله.

سورة المسد

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: ١-٥].

سورة المسد مكية، نزلت في أبي لهب كما في البخاري (٤٨٠١)، ومسلم (٢٠٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «**يَا صَبَاحَاهْ**». فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ قَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ، أَوْ يُمَسِّيكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟**»، قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**». فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾: دعاء عليه؛ أي: خابت يداه وخسرت، وشقي وضلَّ سعيه.

﴿وَتَبَّ﴾: خبر عنه؛ أي: وقد تب؛ أي: تحقق له الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة.

وأبو لهب هو عم النبي ﷺ واسمه: عبد العزىٰ بن عبد المطلب، وكنيته أبو عُتبة. وإنما سمي: (أبا لهب)؛ لحسن وجهه، وإشراقته، وكان شديد العداوة والأذية للنبي ﷺ، فلا عنده دين ولاحمية لقرابة؛ فذمه الله هذا الذم الذي هو

خزي عليه إلىٰ يوم القيامة.

وفي مسند أحمد (١٦٠٢٣) عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيلِيِّ -وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ- فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ تُفْلِحُوا**». وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ، يَقُولُ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ تُفْلِحُوا**». إِلَّا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ، ذَا غَدِيرَتَيْنِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ: أَبُو لَهَبٍ، قُلْتُ: إِنَّكَ كُنْتَ يَوْمَئِذٍ صَغِيرًا، قَالَ: لَا وَاللهِ، إِنِّي يَوْمَئِذٍ لَأَعْقِلُ.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾: أي: ما أغنىٰ عنه ماله وجاهه وولده.

ولن يرد عنه ماله وما اكتسبه شيئا من عذاب الله إذا نزل به.

﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾: أي: ستحيط به من كل جانب نار ذات لهب وشرر وإحراق شديد.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾: وهي: أم جميل، واسمها أروىٰ بنت حرب بن أُمَيَّة، وهي أخت أبي سفيان، وكانت من سادات نساء قريش.

﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾: قيل: كانت شديدة الأذية للنبي ﷺ، وكانت عونًا لزوجها علىٰ كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه في عذابه في نار جهنم؛ فتحمل الحطب فتلقيه عليه؛ ليزداد علىٰ ما هو فيه، فيعذبان جميعا في نار جهنم، نسأل الله السلامة والعافية.

وقيل: كانت تضع الحطب والشوك في طريق النبي ﷺ؛ فكان عذابها أنها

تحمل الحطب في نار جهنم.

وقيل: كانت تعير النبي ﷺ بالفقر وكانت تحتطب؛ فعيرت بذلك.

وقيل: كانت تمشي بالنميمة.

والأول أظهر، والله أعلم.

﴿فِي جِيدِهَا﴾: أي: في عنقها.

﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾: أي: حبل من ليف محكم الفتل.

وقيل: هو قلادة من نار، طولها سبعون ذراعًا.

وقيل: حبل في نار جهنم ترفع به إلىٰ شفيرها، ثم يرمىٰ بها إلىٰ أسفلها.

وقيل: طوق من حديد.

وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل من دلائل النبوة؛ إذ أخبر الله في هذه السورة أن أبا لهب وامرأته سيعذبان في النار، ومن لازم ذلك عدم إسلامهما؛ فوقع كما أخبر الله ﷻ، وماتا علىٰ الكفر، والعياذ بالله.

آخر تفسير سورة (المسد)، والحمدلله.

سورة الإخلاص

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

سورة الإخلاص مكية، وجاء أنها تعدل ثلث القرآن، كما في البخاري (٥٠١٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

وفي مسلم (٨١٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْشُدُوا؛ فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**». فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَقَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أُرَىٰ هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ. ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ: سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

وفي مسلم (٨١١) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟**». قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

وفي لفظ قال: «**إِنَّ اللهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ**».

وجاء أنها صفة الرحمن، كما في البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣) عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَىٰ سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟**»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**».

وقد شرعت قراءتها مع سورة (الكافرون) في ركعتي الفجر والوتر وركعتي الطواف، كما تقدم في تفسير سورة الكافرون.

﴿قُلْ﴾: أي: قل قولًا جازمًا، معتقدًا له.

﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: أي: هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له، ولا نديد، ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ علىٰ أحد في الإثبات إلا علىٰ الله ﷻ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٢٣٧): (لفظ الأحد لم يوصف به شيء من الأعيان إلا الله وحده، وإنما يُستعمل في غير الله في النفي قال أهل اللغة يقول: لا أحد في الدار ولا تقل فيها أحد. ولهذا لم يجئ في القرآن إلا في غير الموجَب كقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، وكقوله: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: ٦]، وفي الإضافة كقوله: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾ [الكهف: ١٩]، ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢]..) اهـ المراد.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: أي: الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجهم؛ فهو المقصود في جميع الحوائج والمسائل، والكل مفتقر إليه.

وقيل: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده.

وقيل: هو الباقي بعد خلقه.

وقيل: هو الذي لم يلد ولم يولد؛ فجعلوا ما بعده تفسيرا له.

وقيل: هو المصمت الذي لا جوف له؛ فلايأكل الطعام، ولايشرب الشراب، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقيل غير ذلك.

وكل ذلك صحيح، ثابت لله تعالىٰ؛ فهو الذي تصمد إليه الخلائق في قضاء حوائجها، وهو السيد الذي قد كمل سؤدده، وهو الباقي بعد خلقه، وهو الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب؛ فهو الموصوف ﷻ بصفات الجلال، ونعوت الكمال.

وقد جمعت هذه الأسماء الثلاثة: (الله، الأحد، الصمد)، في حديث مِحْجَنَ بْنَ الْأَدْرَعِ عند أحمد في المسند (١٨٩٧٤) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَىٰ صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ: فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ**». ثَلَاثَ مِرَارٍ.

وفي حديث بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ عند الترمذي (٣٤٧٥) قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ: «**وَالَّذِي**

نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ».

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾: أي: ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة؛ لكمال غناه.

وقد تقدم قول بعض أهل العلم أنه تفسير للصمد.

قال تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

وفي البخاري (٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤) عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَذًىٰ سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، يَدَّعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ».

وفي البخاري (٤٩٧٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ إِنِّي لَنْ أُعِيدَهُ كَمَا بَدَأْتُهُ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا. وَأَنَا

الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُؤًا أَحَدٌ».

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾: أي: لا مثيل له ولانظير، لافي أسمائه ولافي صفاته، ولافي أفعاله، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وهذه السورة قد اشتملت علىٰ توحيد الأسماء والصفات.

آخر تفسير سورة (الإخلاص)، والحمدلله.

سورة الفلق

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

[الفلق: ١-٥].

سورة الفلق مدنية، وقد أنزل الله ﷻ هذه السورة وسورة الناس حين سُحر النبي ﷺ، سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، وحديث السحر ثابت في الصحيحين، ففي البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّىٰ كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّىٰ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: «**أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي؟ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ. قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ: فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ، وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ**». فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: «**نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**». فَقُلْتُ: اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقَالَ: «**لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَىٰ النَّاسِ شَرًّا**». ثُمَّ دُفِنَتِ الْبِئْرُ.

وكان النبي ﷺ قد سحر وعُقد له إحدىٰ عشرة عقدة؛ فأنزل الله المعوذتين، وكان عددهما إحدىٰ عشرة آية؛ فانحلت بكل آية عقدة.

وهما من أعظم ما يتعوذ به، وكان النبي ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وعند النسائي (٩٥٣) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: اتَّبَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَىٰ قَدَمِهِ، فَقُلْتُ: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللهِ سُورَةَ هُودٍ، وَسُورَةَ يُوسُفَ. فَقَالَ: «**لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِنْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾**».

﴿قُلْ﴾: متعوذًا.

﴿أَعُوذُ﴾: أي: ألجأ وألوذ وأعتصم.

والعياذ يكون لدفع المكروه، واللياذ يكون لطلب المحبوب.

﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾: أي: الصبح، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقيل: فالق الحب والنوىٰ.

وكل ذلك صحيح.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: أي: من شر جميع المخلوقات؛ فيشمل جميع ما خلق الله من إنس وجن وحيوانات؛ فيستعاذ بالله من شرها، ثم خص بعدما عمَّ؛ فقال:

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: أي: ويستعاذ من شر الليل إذا أقبل بظلامه، وغشي الناس، وانتشرت فيه الشياطين، وانبعث أهل الشر علىٰ العبث والفساد، وخرجت السباع والحيوانات المؤذية.

وفي البخاري (٣٢٨٠) عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا اسْتَجْنَحَ -أَوْ: كَانَ جُنْحُ- اللَّيْلُ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَخُلُّوهُمْ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ، وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ وَاذْكُرِ**

اسْمَ اللهِ، وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ، وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ، وَلَوْ تَعْرُضُ عَلَيْهِ شَيْئًا».

وقيل: القمر.

ففي مسند أَحْمَدُ (٢٥٧١١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِي فَنَظَرَ إِلَىٰ الْقَمَرِ، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، تَعَوَّذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، هَذَا غَاسِقٌ إِذَا وَقَبَ**».

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾: أي: ويستعاذ من شر السواحر إذا رقين ونفثن في العقد.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: أي: ويستعاذ من شر الحاسد إذا حسد وكاد للمحسود؛ فالحاسد قد يؤذي، وربما أصاب بالعين.

والحسد شر الطبائع وأخسها، وهو أول معصية عُصي الله بها، عندما حسد إبليس آدم، وبسبب الحسد ربما سفكت الدماء، كما في قصة حسد قابيل لهابيل وقتله إياه.

ولا يكاد يسلم أحد من الحسد إلا من رحم الله، ولكن المؤمن يجاهد نفسه، حتىٰ يصرفه الله عنه.

وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما خلا جسد من حسد، ولكن الكريم يخفيه، واللئيم يبديه) اهـ

ولا أضر علىٰ الحاسد من نفسه؛ فضرر الحسد علىٰ صاحبه عظيم.

وكما قيل:

لله درُّ الحسد ما أعدله! بدأ بصاحبه فقتله!

آخر تفسير سورة (الفلق)، والحمد لله.

سورة الناس

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ١-٦].

سورة الناس مدنية.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: أمر الله نبيه ﷺ أن يستعيذ برب الناس.

والرب: هو المربي لعباده بالتدبير وأصناف النعم، وهو السيد والمنعم والمصلح.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾: أي: مالكهم، والمتصرف فيهم كما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: أي: معبود الناس، وإلههم المستحق للعبادة وحده لاشريك له.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾: أي: من شر الشيطان الذي يوسوس في الصدور، ويجثم علىٰ قلب ابن آدم؛ فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس.

وفي مسلم (٢٨١٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ**». قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ**».

وفي البخاري (٣٢٨١)، ومسلم (٢١٧٥) عَنْ صَفِيَّةَ ابْنَةِ حُيَيٍّ، قَالَتْ: كَانَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي - وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَىٰ رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**». فَقَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَىٰ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا**»، أَوْ قَالَ: «**شَيْئًا**».

﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾: أي: الذي يلقي بوسوسته إلىٰ قلوب الناس، ويتلاعب بهم.

﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: أي: الذي يوسوس في صدور الناس؛ يكون من شياطين الجن، ويكون من شياطين الإنس، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وجاء في سنن أبي داود (٥١١٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ -يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ- لَأَنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَىٰ الْوَسْوَسَةِ**».

آخر تفسير سورة (الناس)، والحمدلله.

تم تفسير جزء عم، والحمدلله علىٰ توفيقه وعونه، وأسأل الله أن يجعل عملي خالصًا، صالحًا، نافعًا، والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين.

أم حفص سيدة بنت عبد الله بن أحمد الحمزي

غفر الله لها ولوالديها

المصادر

١. تفسير القرآن العظيم لابن كثير
٢. تفسير الطبري
٣. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي
٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي
٥. زاد المسير لابن الجوزي
٦. فتح القدير للشوكاني
٧. روح المعاني للألوسي
٨. أضواء البيان للشنقيطي
٩. تفسير السعدي
١٠. تفسير الفاتحة لابن عثيمين
١١. أسباب النزول للسيوطي
١٢. أسباب النزول للواحدي
١٣. الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي
١٤. لسان العرب لابن منظور
١٥. الصاحبي لابن فارس

١٦. النهاية لابن الأثير
١٧. التعريفات للجرجاني
١٨. مفردات القرآن للراغب الأصفهاني
١٩. غريب القرآن لابن قتيبة
٢٠. غريب القرآن للسجستاني
٢١. إعراب القرآن للنحاس
٢٢. صحيح البخاري
٢٣. صحيح مسلم
٢٤. سنن أبي داود
٢٥. سنن الترمذي
٢٦. سنن النسائي
٢٧. سنن ابن ماجه
٢٨. مسند أحمد
٢٩. مستدرك الحاكم
٣٠. الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين للوادعي
٣١. أحاديث معلة ظاهرها الصحة للوادعي
٣٢. إرواء الغليل للألباني
٣٣. السلسلة الصحيحة للألباني
٣٤. السلسلة الضعيفة للألباني
٣٥. مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية

٣٦. مدارج السالكين لابن القيم
٣٧. إعلام الموقعين لابن القيم
٣٨. إغاثة اللهفان لابن القيم
٣٩. مفتاح دار السعادة لابن القيم
٤٠. زاد المعاد لابن القيم
٤١. الجواب الكافي لابن القيم
٤٢. بدائع الفوائد لابن القيم
٤٣. شرح مسلم للنووي
٤٤. المجموع شرح المهذب
٤٥. المغني لابن قدامة
٤٦. الإعلام لابن الملقن
٤٧. إحكام الأحكام لابن دقيق العيد
٤٨. الأوسط لابن المنذر
٤٩. فتح الباري للحافظ ابن حجر
٥٠. عمدة القاري للبدر العيني
٥١. نيل الأوطار للشوكاني
٥٢. الشرح الممتع لابن عثيمين

الفهرس

- مقدمة الشيخ عبد الحميد بن يحيىٰ الزعكري ٥
- مقدمة الشيخ عدنان بن حسين المصقري ٦
- المقدمة ٨
- سورة الفاتحة..... ١٣
- سورة النبأ ٥٥
- سورة النازعات..... ٧٢
- سورة عبس..... ٨٨
- سورة التكوير..... ١٠٠
- سورة الانفطار..... ١٠٩
- سورة المطففين ١١٥
- سورة الانشقاق..... ١٢٨
- سورة البروج ١٣٥
- سورة الطارق..... ١٤٥
- سورة الأعلىٰ ١٥١
- سورة الغاشية..... ١٥٩
- سورة الفجر ١٦٨

• سورة البلد ١٨١
• سورة الشمس ١٨٩
• سورة الليل ١٩٥
• سورة الضحىٰ ٢٠٣
• سورة الشرح ٢٠٩
• سورة التين ٢١٣
• سورة العلق..... ٢١٧
• سورة القدر..... ٢٢٣
• سورة البينة ٢٣٠
• سورة الزلزلة ٢٣٦
• سورة العاديات..... ٢٣٩
• سورة القارعة..... ٢٤٢
• سورة التكاثر ٢٤٦
• سورة العصر ٢٥٠
• سورة الهمزة..... ٢٥٢
• سورة الفيل..... ٢٥٥
• سورة قريش..... ٢٦٣
• سورة الماعون..... ٢٦٥
• سورة الكوثر ٢٦٨
• سورة الكافرون..... ٢٧٤
• سورة النصر ٢٧٨

• سورة المسد..... ٢٨٢
• سورة الإخلاص..... ٢٨٥
• سورة الفلق..... ٢٩٠
• سورة الناس ٢٩٣
• المصادر..... ٢٩٥
• الفهرس ٢٩٨